الفصل الثالث

النظرية النقدية الماركسية
Marxist criticism

يتساءل طلاب النظرية النقدية المبتدئون عادة عن المغزى من دراسة النظرية الماركسية الآن، و قد ثبت فشل المعسكر الشيوعي في أوروبا، وهو ما يثبت عدم قابلية هذه النظرية للحياة. بالإضافة إلى تجاهل وجود الصين نلحظ أن مثل هذا التساؤل يُغفل حقيقتين هامتين: الأولى: لم يقم أي مجتمع ماركسي بحت على وجه البسيطة، باستثناء بعض الجماعات الصغيرة و قصيرة الأجل نسبياً. حيث إن المجتمعات الصغيرة العدد و القصيرة الأجل التي ادّعت اعتناق النظرية الماركسية والتقيد بمبادئها التي وضعها كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨ – ١٨٨٣) لم تكن في حقيقة الأمر سوى عصابات تتحكم مجموعة صغيرة من قادتها بالمال، و السلاح، و تقوم بإخضاع الشعوب من دونها عن طريق الترهيب الجسدي. والثانية: لو افترضنا جدلاً أن هذه الدول الشيوعية طبقت النظرية الماركسية بحذافيرها وفشلت، فهذا لا يلغي حقيقة أن النظرية الماركسية ما زالت قادرة على منحنا فهما عميقا للتاريخ و الأحداث الجارية على حد سواء، لذلك نستطيع استخدام النظرية الماركسية نفسها لنفسر سبب فشل الأنظمة الماركسية. لا مفر في بادئ الأمر من فهم النظرية الماركسية قبل أن نبدأ في استخدامها لتفسير أي حدث سواء أكان سياسياً أم لم يكن.

الفرضيات الأساسية للنظرية الماركسية

ما النظرية الماركسية على وجه الدقة؟ فلنبدأ الإجابة على هذا السؤال بالإجابة على سؤال آخر: ما التعليق الذي قد يدلي به الناقد الماركسي حول الفصل السابق في هذا الكتاب (نظرية التحليل النفسي)؟ لا بد أنه سيقول إن تركيزنا على نفسية الفرد و جذورها في النسيج العائلي أعمانا، أو شغلنا على الأقل، عن إدراك القوى الحقيقية التي تشكل تجربة الإنسان: ألا وهي النظم الاقتصادية التي تشكل المجتمعات البشرية. لا شك أن النقاد الماركسيين سيكون لهم التحفظ نفسه على كل النظريات النقدية التي ستذكر في هذا الكتاب، إذ يعتبرون أية نظرية لا تقدم الحقائق الاقتصادية على التجربة البشرية تسيء فهم الثقافة البشرية، فالحصول على القوة الاقتصادية والحفاظ عليها، هو الدافع الكامن وراء كل النشاطات الاجتماعية و السياسية مثل: التعليم، و الفلسفة، و الدين، و الحكم، و الفنون، و التكنولوجيا، و الإعلام، ...إلخ. و بالتالي يبدو جليّاً أن الاقتصاد هو "القاعدة" التي تقوم

عليها البنية الفوقية الاجتماعية، و السياسية، و الأيديولوجية. ولأن القوة الاقتصادية تتضمن بداخلها القوة الاجتماعية و السياسية، يفضل العديد من نقاد النظرية الماركسية، عند الحديث عن بنية الطبقات الآن، أن يستخدموا مصطلح "الطبقة الاقتصادية- الاجتماعية" بدلا من الطبقة الاقتصادية.

تسمى الظروف الاقتصادية في اصطلاحات النظرية الماركسية بالظروف "المادية" و يسمى الوضع السياسي، و الاجتماعي، و الإيديولوجي المنبثق عن هذه الظروف بالموقف "التاريخي". لذلك يصر الناقد الماركسي على أنه لا يمكن فهم الأحداث البشرية سياسية كانت أم شخصية، أو النتاج البشري بدءاً من الغواصات النووية إلى البرامج التلفزيونية بدون فهمنا أولا للظروف التاريخية و المادية المحددة التي ظهرت هذه النواتج في خضمها. إذا ما أردنا صياغة هذه الفكرة بصورة أوضح، نقول إن الناقد الماركسي يؤمن أن جميع المنتجات و الأحداث الإنسانية كانت نتاج مسببات مادية و تاريخية محددة؛ لأنه لا يمكن الوصول لصورة دقيقة عن الشؤون الإنسانية من خلال بحثنا في أمور تجريدية، بل من خلال فهمنا للظروف المادية المحسوسة في العالم. لهذا السبب يركز التحليل الماركسي للأحداث، و المنتجات الإنسانية على العلاقات فيما بين الطبقات الاقتصادية- الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، و فيما بينها و بين طبقات المجتمعات الأخرى. كما يركز التحليل الماركسي على فهم الأنشطة الإنسانية عن طريق فهم توزيع القوة الاقتصادية و فعاليتها. لذلك فإن النظرية الماركسية تصر على أنه لا يمكن تقييم مدى أهمية الأفكار النظرية، إلا من خلال رؤية مدى إمكانية تطبيق هذه الأفكار عمليا في هذا العالم.

تخلق الفروق الاقتصادية-الاجتماعية، من منظور ماركسي، فجوة أكبر ما بين طبقات المجتمع أكثر من تلك الفروق المتعلقة بالدين، أو السلالة، أو العرق، أو الجنس. إنّ المعركة الحقيقية حسب الماركسية تدور بين هؤلاء "المالكين" و أولئك "المحرومين" - بين "البرجوازيين" الذين يسيطرون على الموارد الطبيعية و الاقتصادية والبشرية، و العمال "الكادحين" الذين يشكلون معظم المجتمع و يعملون بأيديهم لملء خزائن الأغنياء لا جيوبهم— ولسوء الحظ فإن هؤلاء العمال هم آخر من يدرك هذه الحقيقة. لذلك نراهم غارقين في الفروق الدينية، و العرقية، و الجنسية، و بالتالي ينتهي بهم الأمر كعصي مفردة لا تقوى على تحقيق أي تغيير اجتماعي. يؤمن قليل من مطبقي هذه النظرية اليوم بما آمن به ماركس حول تطوير العمال يوماً ما و بشكل عفوي لوعي مشترك يؤدي حتما إلى ثورة عنيفة تطيح بمضطهديهم، و تخلق مجتمعا غير طبقيٍ. إذا ما وضع العمال الفروق بينهم جانبا و تحركوا مجموعة واحدة، فلا شك أنهم سيغيرون بنية السلطة في مجتمعاتهم تغييراً جذرياً.

النظام الطبقي في أمريكا

إنّه لمن الصعوبة بمكان أن نصنف الشعب في الولايات المتحدة الأمريكية إلى برجوازيين، و عمال كادحين. فعلى سبيل المثال، كيف عسانا أن نصنف رجلا لديه مجموعة من العاملين في شركته العائلية الصغيرة علما أنه يجني

سنويا أموالا أقل من موظف مبيعات يعمل لدى شركة ضخمة؟ يبدو جليّا أنّ هذا التصنيف لا يصلح في أمريكا حيث يجني العامل أحيانا أكثر مما يجني صاحب شركة. وما يُعقّد الأمر أكثر في الحالة الأمريكية، أن كلمة "برجوازي" أصبحت كلمة عامة تشير إلى الطبقة الوسطى عموما سواء كان أفرادها من أصحاب الشركات، أو من أولئك الذين لا يملكون إلا رواتبهم، لذلك يبدو أن أفضل طريقة لتصنيف الشعب الأمريكي يجب أن ترتكز على نمط الحياة الاقتصادي- الاجتماعي دون الرجوع إلى كيفية الحصول على دخل معين. ولنلق نظرة مبسطة على التقسيمات الاقتصادية — الاجتماعية في أمريكا بغية مزيد من الوضوح.

سواء اختلفنا أم اتفقنا حول ما إذا كان فرد أو مجموعة أفراد معينين يندرجون تحت الطبقة البرجوازية، أو العاملة الكادحة يبدو واضحا للجميع أنّ هناك اختلافات جلية في أنماط الحياة الاقتصادية- الاجتماعية بين المجموعات الآتية في أمريكا: المشردين: الذين لا يملكون شيئا، و الفقراء: ذوي التعليم المنخفض، و الفرص الوظيفية المحدودة الذين يكافحون لإعالة أسرهم و يعيشون مهددين بأن يصبحوا مشردين يوما ما، و الأفراد المستقرين ماليا: الذين يملكون منازل و سيارات جميلة و عادة يستطيعون تعليم أولادهم في الجامعات، و ذوي الوضع الممتاز: الذين يملكون أكثر من منزل و أكثر من سيارة فارهة، و الأثرياء المتخمين مثل: أصحاب الشركات الضخمة. يمكننا الآن تسمية هذه المجموعات الخمس في أمريكا على التوالي: الطبقة المسحوقة، و الطبقة الدنيا، والطبقة الوسطى، و الطبقة العليا، و "الطبقة الأرستقراطية."

ومن الواضح أن المضطهدين اقتصادياً هم هؤلاء الذين ينتمون إلى الطبقتين المسحوقة والدنيا، حيث يعانون من شرور العوز الاقتصادي ويتأثرون أكثر من غيرهم بالركود الاقتصادي، ولا يملكون الوسائل لتحسين أوضاعهم أيضا. ونرى على النقيض تماما أنّ أعضاء الطبقتين العليا و "الأرستقراطية" يتمتعون بمزايا اقتصادية: فهم يتمتعون برفاهيات الحياة وهم الأقل تأثراً بالركود الاقتصادي والأكثر أماناً مادياً. لكن ماذا عن أعضاء الطبقة الوسطى؟ هل هم مضطهدون اقتصادياً أم مرفهون اقتصادياً؟ بالطبع، نستطيع القول إنهم يملكون شيئا من هذين النقيضين المشار إليهما آنفا، فنمط الحياة الاقتصادي- الاجتماعي لأفراد هذه الطبقة أفضل مما هو عليه لدى الطبقتين الأدنيين، لكن ربما لن تكون لهم القدرة على امتلاك سكن أبداً، لكنهم مع ذلك يتمتعون بأمان مالي أكثر مما يتمتع به أفراد الطبقات الدنيا، و مع ذلك فهم غالباً ما يتأثرون بالركود الاقتصادي وعادة ما يكون لديهم السبب الكافي لكي يخشوا على مستقبلهم المالي؛ فهم يستفيدون من أشكال مؤسسية من الضمان الاقتصادي، كالتأمين الطبي الجيد وخطط المعاشات التقاعدية، ولكنهم يتحملون عبئاً ضريبياً هائلاً نسبة إلى دخلهم (الأمر الذي يعتبره الكثيرون غير منصف).

لكن لماذا لا تنتفض الطبقات المضطهدة؟ ما الذي يبقي على الطبقات الدنيا "في منزلتها" تحت رحمة الأغنياء؟فيما يتعلق بفقراء ومشردي أمريكا، على الأقل، يمكن القول إن صراعهم من أجل البقاء على قيد الحياة هو السياسة المتبعة لإبقائهم مسحوقين. فمن ذا الذي لديه الوقت ليتحرك، أو يتنور سياسيا على الأقل بينما يكافح للبقاء حيا لإطعام أطفاله! و تعتبر الشرطة وجهات حكومية قوية أخرى من أدوات الاضطهاد التي تعمل بأوامر حكومية على إساءة معاملة الطبقات الدنيا والفقيرة التي تعد تهديداً لبنية السلطة،كما حدث مع اعتقال العمال الذين أضربوا عن العمل في بدايات اتحادات العمال الأمريكية،و تعرضوا للتعذيب،أو القتل،أو كما حدث مع المتشردين الذين طردوا من بيوتهم الكرتونية في متنزه نيويورك المركزي لأن أكواخهم تشوه المنظر العام،أو بالأحرى "المنظر" الذي يشاهده الأغنياء الذين ينظرون من نوافذ شققهم الفخمة قرب المتنزه. هذا و تضطهد الأيديولوجيا الفقراء على نطاق أوسع.

دور الأيديولوجيا

يعرّف الماركسيون "الأيديولوجيا" على أنها نظام معتقدات و أن كل نظم المعتقدات نتاج قولبة ثقافية، فالرأسمالية، والشيوعية، والماركسية، والوطنية، والدين، والأنظمة الأخلاقية، والفلسفة الإنسانية، وحماية البيئة، و علم التنجيم،و رياضة الكاراتيه تعتبر كلها أيديولوجيات. و بالطبع إن كل النظريات النقدية التي ستطرح في هذا الكتاب هي أيديولوجيات أيضا. حتى افتراضنا بأن الطبيعة تتصرف حسب قوانين علمية يعتبر أيديولوجيّاً عند الماركسيين. و هنا تجدر بنا ملاحظة أن الأيديولوجيات ليست سواء، فبعضها محبب و الآخر ليس كذلك،كما هو الحال مثلا في أي أيديولوجيا تروج لأجندات سياسية اضطهادية. ويكمن خطر هذه الأيديولوجيات ومثيلاتها في أنها تسوق نفسها بين المواطنين على أنها الطرق الطبيعية لرؤية العالم،وأنها ليست بأيديولوجيات أصلا. من الأمثلة الصريحة على مثل هذه الأيديولوجيات تلك المتعلقة بالتحيز ضد المرأة حيث تدعي "أنه من الطبيعي أن يتسلم الرجال المناصب القيادية ؛ لأن تركيبهم البيولوجي يجعلهم متفوقين على المرأة جسديا، وعقليا، وعاطفيا". يشير مثال آخر إلى الأيديولوجيا الرأسمالية و كيف تحاول هذه أن تجعل من فكرة الحق في اقتناء كل أمريكي لبيته الخاص شيئا طبيعيا طالما أن الفكرة تروق للجميع، علماً أن الأمريكيين الأصليين،على النقيض من ذلك،يرون أنّ فعل ذلك يعتبر محاولة لامتلاك الهواء الذي نتنفسه.

و تستطيع الأيديولوجيات عن طريق طرح نفسها باعتبارها طرقاً طبيعية للتعامل مع العالم أن تحجب عنا القدرة على فهم الظروف المادية/التاريخية التي نعيش فيها،لأنها ترفض الاعتراف بأن لهذه الظروف أي تأثير على الطريقة التي نرى بها العالم. فالماركسية، باعتبارها أيديولوجيا غير قسرية،تقر أنها أيديولوجيا،وتعمل حثيثا لجعلنا

ندرك كل الوسائل التي نعتبر فيها نتاج الظروف المادية/ التاريخية، وتساعدنا أيضا على إدراك كل الأيديولوجيات القمعية التي تعصب أعيننا عن الحقائق لتجعلنا دائما خدما طائعين للنظام السلطوي الحاكم. وعلى الرغم من أنّ الماركسيين يختلفون في مدى تقديرهم لدرجة برمجة الشعوب عن طريق الأيديولوجيات، إلا أنهم يتفقون جميعا على أن أكثر الأيديولوجيات نجاحا هي تلك التي لا ينظر إليها بوصفها أيديولوجيا، بل بوصفها طرقاً طبيعية لرؤية العالم. و بالعودة إلى الحالة الأمريكية، يبدو من المنطقي أن تتحالف الطبقة الوسطى مع الطبقات الدنيا لتحسين أوضاعها، لكن ما يحدث سياسيا هو النقيض تماما حيث نرى الطبقة الوسطى منحازة إلى جانب الأغنياء و متحيزة ضد الفقراء.

وعلى سبيل مثال بسيط، يمكن القول أن الطبقة الوسطى تكره الفقراء لأن الحكومة تجني منهم الضرائب والأموال لمساعدة الطبقة الفقيرة. وعلى أية حال، غفلت الطبقة الوسطى عن حقيقتين مهمتين: الأولى: أن الأغنياء يحتلون مناصب في هرم السلطة تمكنهم من تحديد من يدفع الضرائب، وكيف يصرف المال المجني(بمعنى آخر، الأغنياء هم من يجعلون الطبقة الوسطى تدعم الفقراء). الحقيقة الثانية هي أن الفقراء لا يحصلون إلا على فتات ما خُصّص لهم، إذ يضيع الكثير منه، عن طريق الرشاوى ومسك الدفاتر "الخلاق"، إلى جيوب الأغنياء الذين يسيطرون على خدماتنا الاجتماعية وعلى موظفي الطبقة الوسطى التى تقدم تلك الخدمات. ما هي تلك الأيديولوجيا التي تعمي الطبقة الوسطى في أمريكا المعاصرة عن رؤية اللامساواة الاقتصادية- الاجتماعية؟ الإجابة عن هذا السؤال جلية: إنه إيمانهم "بالحلم الأمريكي" الذي غرس في عقولهم فكرة أن النجاح المالي يتحقق ببساطة إذا ما أصبح الشخص مبادرا وعمِل بجد، وبهذا جرى إقناع الطبقة الوسطى بأن الفقراء أصبحوا فقراء لأنهم كسالى، ولا يحسنون التصرف.

نؤمن جميعاً في هذا البلد(أمريكا) أنّه من الطبيعي أن يرغب المرء في "المضي قدماً"، لامتلاك منزل أفضل، وارتداء ملابس أفضل. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكلمة الرئيسة "أفضل" لا تعني فقط "أفضل مما كنت عليه من قبل"، بل "أفضل مما يملك الآخرون" أيضا. أي أن فكرة "المضي قدماً" تتضمن فكرة "المنافسة" باعتبارها شكلاً طبيعياً أو ضرورياً للوجود. ألم نتعلم من العلوم الطبيعية أن "البقاء للأقوى"؟ ألا يصب هذا المعتقد و السلوك البشري الذي يتبعه في صميم المذهب الفردي الصارم الذي تأسست أمريكا عليه، و الذي بدونه لم تكن لتصبح الأمة العظيمة كما هي اليوم؟ لذلك ألا نلحظ هنا أن كل ما ذكر (المضي للأمام، و المنافسة، و المذهب الفردي الصارم) تعتبر أجزاء رئيسة في تكوين الحلم الأمريكي الذي يروج لفكرة أننا نولد جميعا سواسية و أحراراً لنتقدم في حياتنا قدر ما نستطيع؟

على الرغم من أن هذا المسعى البشري قد يبدو لمعظم الناس، وخاصة في أمريكا، أمراً طبيعيا ومناسبا والأمثلة على شخوص عصاميين صنعوا أنفسهم بأنفسهم كثيرة مثل بنيامين فرانكلين و أبراهام لينكولن. يشير

المنهج الماركسي إلى أن فكرة الحلم الأمريكي هذه ليست إلا مجرد أيديولوجيا، لا شيئا طبيعيا أو فطريا. إن مَثَل أيديولوجيا الحلم الأمريكي ، مثل كل الأيديولوجيات الأخرى التي نرى بداخلها وسائل الإنتاج (طبيعية ، و مالية ، و بشرية) مملوكة من جهة الأفراد الذين يشكلون الطبقات العليا في المجتمع لذلك نرى أن هذه الأيديولوجيا أيضا تعمينا عن اللامساواة الفادحة و فشلها في الماضي و الحاضر أيضا: فماذا عن الإبادة الجماعية للأمريكيين الأصليين، و استعباد الأفارقة، و شبه استعباد الخدم، و انتهاك حقوق المهاجرين، و اتساع الفجوة بين الأغنياء و الفقراء، و تزايد أعداد المشردين و الجوعى، و العوائق الاقتصادية- الاجتماعية أمام المرأة و الملونين، وما إلى ذلك؟ يبدو جليا الآن أن نجاح الحلم الأمريكي، أي حصول قلة من الناس على اسلوب حياة الرفاهية، يرتكز عند بعضهم على خلق معاناة للأغلبية، كما يبدو جليا أيضا أنه بقوة الأيديولوجيا، وقوة إيماننا بكونه شيئا طبيعيا و عادلا هو ما يجعلنا نغض الطرف عن الحقائق المؤلمة المتوارية خلف تلك القوة.

قد يتساءل البعض هنا: "أليس الحلم الأمريكي هدفاً مثالياً؟ ألا يفترض بنا أن نتوق إليه وإن فشل في التطبيق؟ هل يجب علينا مثلاً أن نتخلى عن المثل الأعلى بأن الحياة الإنسانية أمر مقدس فقط لأننا لم نستطع أن نرقى لمستواها"؟ يرد الماركسيون على هذا بالقول: إن الهدف المثالي الذي يسعى لإخفاء فشله ليس إلا هدفا مثالياً مزيفاً و بغيته الوحيدة هي تعزيز مصالح أولئك القابعين في السلطة. و يتساءل الماركسيون فيما يتعلق بالحلم الأمريكي: "كيف للحلم الأمريكي أن يدعم جميع الأمريكيين حتى أولئك الذين فشلوا في تحقيقه عن طريق تعزيز مصالح الأفراد في السلطة"؟

تكمن الإجابة عن هذا التساؤل، ولو جزئياً، بالقول: إنّ الحلم الأمريكي أشبه باليانصيب الوطني الذي يمنح فرصة الفوز للجميع، و تماما مثل مدمني لعبة القمار، حيث نتمسك بتلك الفرصة و ذاك الأمل. ففي حقيقة الأمر كلما قلّ لدينا الأمان المالي احتجنا أكثر إلى أمل نعيش عليه. و يخبرنا الحلم الأمريكي أيضا ما نريد سماعه بالضبط و ذلك أننا "جيدون" مثل الأغنياء بيننا، ولا يهمنا إن كان الأغنياء يشاركوننا الاعتقاد نفسه طالما أننا مقتنعون بصحته. و تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن مبدأ "أننا جيدون مثل الأغنياء" لا يعني بالضرورة أننا نتمتع بنفس الرعاية الطبية، ووسائل الراحة المادية، والامتيازات الاجتماعية التي يتمتعون بها، بما في ذلك توكيل أفضل المحامين إذا دعت الحاجة. يبدو جلياً هنا أنّ الحلم الأمريكي يخدر المسحوقين عن طريق إرضاء الأنا لديهم فقط في حال احتاجوا أن "يشعروا بالرضا عن أنفسهم"، و خصوصاً في أيام العسرة المادية. كما يقنع الأغنياء الذين يجمعون الثروات على حساب المسحوقين الذين لا يقدرون على كسب قوت يومهم أنهم يستحقون ما يجمعونه، لأنهم يعملون بجد وينتزعون زمام المبادرة. وفي الواقع فإن قوة الحلم الأمريكي في إخفاء الحقيقة المادية/التاريخية هو من النوع الذي يمكن استدعاء أمريكا غير مهتمة بالنظام الطبقي، والنزول بتلك الأيديولوجية وصولا إلى المنتصف في أمريكا يكون فيها النظام الطبقي معقد جدا بحيث لا يسعني أن أرسم تفاصيله، باستثناء المخطط التقريبي الذي قدمته فيما سبق.

إنّ دور الأيديولوجيا في إبقاء أصحاب السلطة في أماكنهم مهم جداً حسب النظرية الماركسية، لذلك سنتكلم باختصار عن أيديولوجيات أخرى تعمل بالطريقة ذاتها. فلنبدأ بالطبقية: تعد "الطبقية" أيديولوجيا تقيّم الفرد على أساس الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، فكلما علت طبقة الفرد الاجتماعية اعتبر أفضل لأنّ النوعية "متوارثة جينياً". فالأفراد في أعلى النظام الطبقي فطرياً و طبيعياً أفضل من أولئك القابعين في أسفله: هؤلاء التابعون للطبقة العليا طبيعيا أذكى، وأكثر إحساساً بالمسؤولية، و موثوقٌ بهم أكثر، و أخلاقيون أكثر، أما أولئك الذين يأتون في الطبقة السفلى فهم بطبعهم كسالى و غير مسؤولين. لذلك من الصواب ومن الطبيعي أيضا أن يسيطر أفراد الطبقة العليا على السلطة لأنهم كما أسلفنا فطرياً و طبيعياً مناسبون أكثر لهذه المهمة.

تعد "الوطنية" من الأيديولوجيات الأخرى التي تبقي فقراء شعب معين يحاربون فقراء شعوب أخرى، (حيث يمكن، بطريقة أو أخرى، لحفنة من المال أن تبعد أحدهم عن الخدمة العسكرية في زمن الحرب، أو على الأقل، تبعده عن الوحدات القتالية) بينما أغنياء كل هذه الشعوب يتمتعون في قصورهم و يجنون المكاسب الاقتصادية في أثناء فترة الحرب. و تلعب هذه الأيديولوجيا بعواطف الفقراء لإقناعهم بأنهم جزء مهم من الأمة التي ينتمون إليها، بينما يجب عليهم في الحقيقة أن يشعروا أنهم جزء من الطبقة العالمية المسحوقة و المضطهدة. مما لا شك فيه أن إقناع الفقراء بأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة يمنعهم من التوحد مع فقراء العالم ليحسنوا أوضاعهم البائسة في العالم أجمع.

بل إن "الدين" في النظرية الماركسية ليس إلا أيديولوجيا، و قد أطلق عليه ماركس لقب "أفيون الشعوب"، حيث إن الدين يعمل مخدراً أو مهدئاً لإبقاء الفقراء راضين عمّا يحصلون عليه في الدنيا. إن مسألة وجود الله ليس بالأمر المهم في النظرية الماركسية، بل إن المهم هو ما يقوم الناس بفعله تحت اسم الله —ما يسمى بالدين المنظم. فعلى سبيل المثال: توزع المجموعات النصرانية المتدينة الطعام، و اللباس، و المسكن، والتعليم على الفقراء، لكنها توزع مع هذا أيضا فكرة أن الفقراء سيكافؤون في الجنة إذا ما رضوا بما معهم و لم يلجؤوا للعنف. و هنا يجدر الذكر أنه لطالما استخدم العشرة في المائة (أو أقل) من سكان العالم و الذين يملكون تسعين في المائة من ثرواته المعتقدات النصرانية عبر التاريخ لإبقاء الأمور على ما هي عليه. و مما لا شك فيه أنه جرى توظيف الإنجيل بنجاح أيضا لتبرير وترويج فكرة استعباد الأفارقة و إخضاع المرأة و الشاذين جنسياً.

أسلفنا سابقاً أنّ "المذهب الفردي الصارم" هو حجر الأساس في الحلم الأمريكي، وهو في حقيقة الأمر أيضاً أيديولوجيا ترسم لوحة رومانسية للفرد الذي ينطلق في الحياة وحده وراء هدف لا يمكن الوصول إليه بسهولة، وهو هدف يتطلب المغامرة و يخاف الكثيرون من اتباعه. و من الأمثلة على مثل هذا الهدف في الحياة في الماضي حمى الذهب و الفضة على الحدود الأمريكية حيث خاطر كثيرون بحياتهم من أجل تحقيق هذا الهدف. أما اليوم فنجد مثلا

شخصا يخاطر بكل ما يملك في تجارة ما. رغم أن أن هذا الهدف أو الخصلة العصامية قد تبدو محببة، يقول الماركسيون إنّ المذهب الفردي الصارم ليس إلا أيديولوجيا قمعية ؛ لأنها تضع المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار حتى مسألة البقاء حيا للشخص نفسه أو غيره من الناس. و تعمل هذه الأيديولوجيا ضد مصلحة المجتمع بشكل كلي، وضد المسحوقين على وجه الخصوص من خلال التركيز على "أنا" بدلا من "نحن". و يوهمنا هذا المذهب أيضا أننا نستطيع اتخاذ قراراتنا دون التأثر بأي أيديولوجيا علما أن المذهب نفسه أيديولوجيا و أننا دائما متأثرون بأيديولوجيا أو أكثر سواء أدركنا ذلك، أم لم ندركه.

من الأيديولوجيات الأخرى التي يرتكز عليها الحلم الأمريكي نظرية تسمى "الاستهلاك"، و هي ببساطة أيديولوجيا تقول: "إن مدى أفضلية الشخص مرتبط بما يشتريه". من هنا نلحظ أنها تحقق هدفين أيديولوجيين في نفس الوقت: الأول متعلق بالوهم الذي يقول إنني إنسان جيد "مثل" الأغنياء طالما أشتري ما يشترونه، و هذا بالطبع يحقق الهدف الثاني في الوقت نفسه ألا وهو ملء جيوب المصنعين و غيرهم كالذين يحصدون من خمس عشرة إلى عشرين في المائة فائدة عند التسوق باستخدام البطاقات الائتمانية.

ما زال هناك بالطبع العديد من الأيديولوجيات الرأسمالية التي نستطيع الحديث عنها، لكن ما ذكرناه يكفي لمعرفة كيف نرى هذه الأيديولوجيات من منظور ماركسي. و يتبع النقاد الماركسيون التالي: أولا: يقومون بتحديد الأيديولوجيا الفاعلة في المنتجات الثقافية مثل الأدب، و الأفلام، و الرسم، و الموسيقى، و البرامج التلفزيونية، و الإعلانات التجارية، و التعليم، و الفلسفة، و الدين، ووسائل الترفيه...إلخ. يقوم الماركسيون بعد ذلك بتحليل كيفية قيام الأيديولوجيا المستخدمة بالدعم أو التبخيس من قدر النظام الاقتصادي-الاجتماعي (بنية السلطة) والتي يلعب فيها النتاج الثقافي دوراً هاماً. ورغم أن الماركسيين يعتقدون أن كل الظواهر الاجتماعية من تربية الأطفال إلى الاهتمامات البيئية تعدّ منتجات ثقافية، وأنه لا يمكن فصل الثقافة عن النظام الاقتصادي-الاجتماعي الذي أنتجها، إلا أن الكثيرين منهم لا يهتمون إلا بالمنتجات الثقافية بمفهومها الضيق مثل الفن، والموسيقى، و المسرح، و الأدب، و التلفزيون، لأنهم يعتقدون أن هذه الوسائل هي الأنجع لتسويق أيديولوجيا ما، فهذه الوسائل عادة ما ينظر إليها على أنها وسائل ترفيه بريئة. لذلك يقول الماركسيون أن دفاعاتنا هي أضعف ما تكون حينما نكون عرضة للبرمجة الأيديولوجية أي عندما نكون في حالة تسلية.

فلنأخذ على سبيل المثال طريقة عرض رجل متشرد شاهدته في برنامج كوميديا المواقف على التلفزيون حديثاً: ينام الرجل كل ليلة في محطة للحافلات حيث يقع الحدث كله. بعد هنيهة نراه داخل غرفة هاتف عمومي يتحدث عبر الهاتف، وفجأة يأتي ساعي البريد و يقاطعه لإعطائه بريده و طبعا هنا يضحك الجميع، لأن هذا المتشرد يقضي معظم وقته في محطة الحافلات مما جعل ساعي البريد يظن أنها منزله. بعد ذلك يتفقد المتشرد بريده

ويقول "كم أتمنى أن يتخذ مكتب البريد إجراءً صارما ليحد من كل هذا البريد غير الهام." و بالطبع هنا يضحك المشاهدون أيضاً. على الرغم من أن المشهد قد يبدو مسلياً و بريئاً ينظر إليه الناقد الماركسي على أنه يتضمن رسالة تخدم بنية السلطة الرأسمالية في أمريكا: "لا تقلقوا فالمتشردون يستطيعون الاعتناء بأنفسهم، بل إنّ المتشردين يحبون العيش هكذا؛ لأن هذا نمط حياتهم الطبيعي."

ولكن كيف يساهم الحلم الأمريكي في نظرة مثل هذه إلى المتشردين؟ نقول ببساطة إنّه يساهم في ذلك من خلال ترويج الأسطورة التي تحدثنا عنها سابقاً، بأن النجاح المادي يتحقق من خلال العمل الجاد و روح المبادرة. و بالتالي لا بد أنّ الفقراء كسالى و عديمي الحيلة. بهذه الطريقة يدفعنا الحلم الأمريكي، على سبيل المثال، إلى نسيان أنّ المتشرد لا يستطيع الحصول على عمل دون امتلاك عنوان لبيت، كما أنه لا يستطيع امتلاك بيت دون الحصول على فرصة عمل، وأنّ معظم المتشردين أصبحوا على هكذا حال بسبب ظروف اقتصادية خارج عن سيطرتهم تماماً، وأنّ كثيراً من الناس أصبحوا متشردين اليوم لأنهم طردوا من مؤسسات الصحة العقلية التي أغلقت إبان إدارة الرئيس ريغان، وبالتالي أصبحوا بحاجة إلى الدواء والعلاج العالي التكلفة على نحو متزايد، وبحاجة أيضاً إلى المنازل.

السلوك البشري، والسلعة، والعائلة

على الرغم من أنّ أعمال ماركس اللاحقة ركزت على الاقتصاد و على أعمال المجتمع بشكل كلي أكثر من تركيزها على الفرد، يجب علينا ألا ننسى أنه بدأ طالباً في تخصص السلوك البشري، أو ما نستطيع تسميته علم النفس الاجتماعي. لذلك نرى أن اهتمامه بنشوء أنظمة الاقتصاد الصناعية منتصفَ القرن التاسع عشر كان ينصب على الآثار التي تخلفها هذه المصانع على الناس الذين أجبروا على بيع عملهم للصناعات التي حلت محل الحرفيين و الفلاحين المستقلين. ولأنّ عمال المصانع كانوا ينتجون عدداً ضخماً من المنتجات التي لا تحمل أسماءهم، أو أدنى مستوى من ذكر مساهمتهم، لاحظ ماركس أنّ العمال ينجرفون بعيداً ليس فقط عما ينتجونه، بل عن عملهم وجهدهم أيضا كما لاحظ الآثار التي تضعف ما سماه "العمل المُغرّب" عند العامل باعتباره فرداً و عند المجتمع بشكل كلي.

وكان قلق ماركس فيما يتعلق ببزوغ الرأسمالية أيضاً ينصب على آثار الرأسمالية على القيم الإنسانية، فقيمة الشيء في النظام الاقتصادي الرأسمالي غير موضوعية حيث إن قيمة الشيء تحدد فقط من خلال علاقته بسوق النقد. و تبرز هنا عدة تساؤلات: كم من الناس سيشترون هذا الشيء؟ كم من المال سيدفعون مقابله؟ هل يحتاج الناس لهذا الشيء؟ هل يتناسب هذا الشيء و السعر المحدد له؟ لتوضيح الأمر أكثر يجب أن نشير هنا إلى أن نظام الرأسمالية الاقتصادي في أوروبا حل محل اقتصاد المقايضة الذي كان يقوم على مقايضة العمل، أو السلع

بالاعتماد على قدرات و حاجات الأفراد الذين يجرون المقايضة. إن تركيز الكثير من النقاد الماركسيين اللاحقين على الطرق التي تنتقل من خلالها الأيديولوجيا الشعبية يعتبر امتدادا طبيعيا لاهتمام ماركس بسلوك البشر و تجاربهم.

مما لا شك فيه أن العديد من طروحات الماركسيين تتحدث عن الآثار المدمرة للرأسمالية على النفس البشرية، و تضيف أنّ هذه الآثار المدمرة عادة ما تظهر في علاقتنا مع "السلعة". فمن وجهة نظر ماركسية، لا تكمن قيمة السلعة في: أولا: مدى فائدتها (قيمة الفائدة) بل في المال أو السلع الأخرى التي يمكن أن نقايضها بها (قيمة التبادل)، و ثانيا: في المنزلة الاجتماعية التي تمنحها لمالكها (قيمة سمة التبادل). ولا يصبح أي شيء سلعة إلا إذا كان يحمل (قيمة التبادل) أو (قيمة سمة التبادل) اللتين يحددهما المجتمع نفسه. لنضرب مثلا هنا على مبدأ معرفة القيمة هذا: إذا كنت مثلا أقرأ كتابا للمتعة أو للاستزادة من المعلومات، أو لأثبت به قدم طاولة عندي، فإن هذا الكتاب يحمل قيمة الفائدة. إذا قمت ببيع الكتاب نفسه فهو يحمل قيمة التبادل، و إذا تركت الكتاب على طاولة القهوة في منزلي لأثير إعجاب فتاتي، فالكتاب في هذه الحالة يحمل قيمة سمة التبادل. و يعرّف مبدأ التسليع في الماركسية على أنه ارتباطنا بالأشياء، أو الأشخاص على أساس قيمة التبادل، أو قيمة سمة التبادل فأنا أقوم بتسليع عمل فني عندما أشتريه كاستثمار مالي؛ أي لأبيعه بثمن أعلى لاحقاً، أو عندما أشتريه لأجعل الآخرين يعتقدون أني صاحب ذوق رفيع. إذا ما كنت من هذا النوع الذي يشتري البضائع الثمينة ليثير إعجاب الآخرين، فأنا بهذه الحالة مصاب "بالاستهلاك العلني الفاضح"، كأن اشتري معطفاً أبيض طويلاً من فرو المنك (أو نظارات باهظة الثمن)، و ذلك ليس بغرض الاستفادة من الشيء أو لجماله ولكن لكي أتباهى أمام الناس بما أمتلكه من ثروة.

أخيراً، أقوم بتسليع البشر عندما أبني علاقاتي معهم من أجل تعزيز تقدمي المالي أو الاجتماعي. يعرف معظمنا الآن ماذا يعني أن تعامل إنسانا باعتباره شيئاً لا أكثر و كما أسلفنا يصبح الشيء سلعة عندما يمتلك قيمة تبادل، أو قيمة سمة التبادل فمثلا هل أختار الفتيات اللاتي أواعدهن على أساس كمية المال التي سينفقنها علي (قيمة التبادل) أو على أساس الدرجة التي سيصل إعجاب أصدقائي إليها (قيمة سمة التبادل)؟ إذا كنت كذلك فأنا أقوم بتسليع الفتيات في كلتا الحالتين.

ويقول الماركسيون: لأن استمرارية الرأسمالية، أو اقتصاد السوق، تعتمد على مذهب الاستهلاك، فإنها تشجع مبدأ قيمة سمة التبادل لتكون المبدأ الرئيس للتعامل مع العالم من حولنا، فليس هناك شيء يساعد الرأسمالية أكثر من زرع فكرة عدم الرضا بما أمتلك، وبالتالي دفعي لاستهلاك المزيد مما قد يبدو لي أفضل و أقدر على إثارة إعجاب الآخرين به. (هل أسناني ناصعة البياض كما ينبغي أن تكون؟ هل ينبغي أن يكون شعري أشقر على نحو أكثر ؟هل يجب أن تبرز عضلاتي أكثر؟ هل أنفاسي منعشة بما فيه الكفاية؟) و بما أن أشكال عدم الرضا الشخصية التي تدفعنا لشراء منتجات استهلاكية هي نتاج لمقارنة أنفسنا بالآخرين (هل أسناني بيضاء مثل أسنانه؟ هل شعري

أشقر مثل شعرها؟)، فإننا نلاحظ أن مبدأ التنافسية لا يسري فقط بين الشركات التي تريد بيع منتجاتها، بل أيضا بين الناس الذين يشعرون أنه ينبغي عليهم "بيع" أنفسهم ليصبحوا محبوبين، أو ناجحين أكثر.

إن حاجة الرأسمالية المستمرة للأسواق لتبيع منتجاتها فيها، وحاجتها للمصادر من أجل الحصول منها على المواد الخام لتصنيع منتجاتها تعتبر السبب في انتشار "الإمبريالية"، فالسيطرة العسكرية، أو الاقتصادية، أو الثقافية على بلد ما لا تعود بناتج جيد إلا على الدولة المسيطرة لا المسيطر عليها و الأمثلة هنا كثيرة: حكم إسبانيا للمكسيك، واحتلال إنجلترا للهند، واستغلال بلجيكا لإقليم الكونغو في أفريقيا، و محاولات أمريكا لإخضاع السكان الأصليين في شمال أمريكا ووسطها وجنوبها. عندما تقوم دولة إمبريالية بإنشاء مجتمعات لها في دول "غير متطورة"، تسمى هذه التجمعات "مستعمرات" كما كان الحال عليه فيما يتعلق بالمستعمرات الأمريكية قبل الثورة الأمريكية، وتستخدم هذه المستعمرات طبعاً لتوسيع المصالح الاقتصادية للدولة المستعمِرة. و مهما كان الأثر الإيجابي الذي تزعم الدولة المستعمرة إضفاءه على السكان المحليين، فإن الدافع وراء مسعاها الاستعماري هو الكسب الاقتصادي لصالح "الدولة الأم."

من المسائل الأخرى الأقل وضوحا ولكنها ليست أقل أهمية و يجب أن نعرفها لنفهم كيف تعمل الرأسمالية الآن هي مسألة "استعمار" الوعي من جهة الحكومات الاستعمارية. ويعني "استعمار وعي" الشعوب التابعة إقناع الشعب بأنهم أدنى مستوى من المحتل ذهنيا و روحيا و ثقافيا، وأنهم لا شك سيتحسنون تحت قيادة وحماية مستعمريهم. ومن الأمثلة على هذا ما قام به ملاك العبيد في الفترة ما قبل الحرب الأهلية الأمريكية حيث ما انفكوا يحاولون إقناع العبيد الأفارقة أنهم ليسوا سوى بشر غير متحضرين، و أنهم قد يعودون لأكل لحم البشر وإلى البربرية ما لم يتبعوا تعاليم أسيادهم البيض. وقد استمرت محاولات استعمار الوعي حتى القرن العشرين عن طريق عرض أنماط للأمريكيين من أصول أفريقية في وسائل الإعلام، والحديث الهامشي عن تجربتهم في كتب التاريخ الأمريكي، و الترويج لفكرة الجمال المثالي الموجود لدى هؤلاء من أصل أنجلو- ساكسوني. وهنا نلحظ أن فكرة استعمار الوعي قد تمارس علينا حتى من قبل ثقافتنا كما هو الحال مع المذهب الاستهلاكي الذي تحدثنا عنه آنفا.

لا شك أن اهتمام الماركسية بالنفس البشرية يلتقي مع اهتمام مدرسة التحليل النفسي حيث إن كلتا النظريتين تدرسان السلوك البشري و دوافعه، لكن استنتاجاتهما و طرقهما متختلفة، فبينما تركز مدرسة التحليل النفسي على نفسية الفرد و كيفية تشكلها داخل إطار العائلة، يركز الماركسيون على القوى المادية و التاريخية التي تشكل التجربة النفسية، و سلوك الأفراد و المجموعات. و من هنا نلحظ أن الماركسية لا تعتبر العائلة مصدر هوية الفرد النفسية؛ لأن كلا من الفرد و العائلة على حد سواء نتاج الظروف المادية التاريخية. للإيضاح أكثر نقول إن العائلة تقوم بتنفيذ برنامج ثقافي معين عند تربية أطفالها، و لكن هذا البرنامج هو في الأساس نتاج الثقافة

الاقتصادية- الاجتماعية التي تعيش فيها العائلة، فبينما يقوم الأبوان بقراءة قصص ما قبل النوم لأطفالهم، واصطحابهم للسينما، و تشكيل أخلاقهم، كل هذا من قصص و أفلام و أخلاق يأتي في الأساس من النظام الاجتماعي الذي يخدم بالنهاية المصالح الاقتصادية للقلة المسيطرة على المجتمع. و بالتالي نستنتج أنه بينما تمحص مدرسة التحليل النفسي الصراعات العائلية و الآلام النفسية التي تشكل سلوك الفرد، تقوم الماركسية بتمحيص السلوك نفسه و لكن باعتباره نتاجاً لقوى أيديولوجية مضمنة داخل الأدب، و الأفلام، و الموسيقى، و التعليم، و القانون. وفي الواقع ،يُبيّن لنا الناقد الماركسي أوجه الخلل العائلي التي تعتبر في حد ذاتها نتاج النظام الاقتصادي الاجتماعي والأيديولوجيات التي يقوم النظام بترويجها.

الماركسية والأدب

لا شك أنّ موضوع العائلة يعتبر من المواضيع المتكررة في الأدب، لذلك سنقارن الآن بين قراءة مدرسة التحليل النفسية و المدرسة الماركسية للمسرحية العائلية الرائعة التي ألفها آرثر ميلر Arthur Miller بعنوان "موت بائع متجول" Death of a Salesman (١٩٤٩). لا بد أن مدرسة التحليل النفسي ستركز على أمور في المسرحية مثل هجران كلٍ من والد "ويلي" و أخيه الأكبر له في سن مبكرة، و عدم الأمان و نكران الحقيقة التي يعاني منهما ويلي، وإسقاط احتياجاته الشخصية على ابنه "بيف"، وصراع الأخوة بين هابي و بيف، و مشكلة أوديب في العائلة، و أخيرا قيام ليندا بتجنب و إزاحة المشاكل مع ويلي. إن المشهد الرئيس لتحليل هذه المدرسة هو المواجهة التي حصلت بين بيف ووالده ويلي الذي كان يضاجع امرأة غير زوجته في أحد الفنادق. وتشكل كل هذه المناحي أهمية لمدرسة التحليل النفسي، لأنها تركز على نفسية الفرد بوصفه نتاجاً عائلياً.

في المقابل فإن القراءة الماركسية للعمل نفسه سوف تركز على كل المشاكل النفسية التي أسلفنا ذكرها، ولكن بالتعامل معها باعتباره نتاجاً للحقائق المادية/التاريخية التي تعيش العائلة تحت مظلتها، أي أنها ستركز على أيديولوجية الحلم الأمريكي الذي لا ينفك يقنع ويلي أنه لن يكون مهماً، إلا عن طريق النجاح الاقتصادي وأن عليه أن يحذو حذو أخيه اللص "بن"؛ وتفشي النزعة الاستهلاكية التي تدفع عائلة لومان لاستمرار الشراء بالدين بما يتجاوز قدراتهم المادية؛ والقدرة التنافسية في عالم الأعمال التي تعيد ويلي إلى العمل نظير عمولة دون أجر منتظم بعد خدمة ثلاثين عاماً في ذات الشركة؛ والاستغلال الكامن للنظام الاقتصادي- الاجتماعي الذي لا يجبر كل الشركات على تزويد موظفيها براتب تقاعدي كاف؛ و أيديولوجية "البقاء للأصلح" التي تتيح لـ هاورد طرد ويلي من العمل دون الأخذ بعين الاعتبار وضعه العقلي الذي يسوء يوما بعد يوم. و سيكون المشهد الرئيس للمدرسة الماركسية ذلك الذي يطرد فيه هوارد (بعد إظهار إشارات على نجاحه الاقتصادي) ويلي و يخبره أن يلجأ لأولاده لإعانته ماديا.

ويبدو واضحاً هنا أنه إذا ما استخدم ناقد ماركسي مفهوماً ما من مدرسة التحليل النفسي فإنه سيوظفه في خدمة قراءة ماركسية. فعلى سبيل المثال، تفسر الماركسية حالة النكران و الهلوسة التي يعاني منها ويلي على أنها دليل على الأثر التخريبي لأيديولوجية الحلم الأمريكي على نفسية الفرد مثل ويلي، فالحلم الأمريكي أمر محمودٌ بالتأكيد للاقتصاديات الرأسمالية، ولكنه يضحي بمصلحة الكثير ممن لا يقدرون على تحقيقه. ولو قرأت تحليلا ماركسيا لأية ثقافة أو منتج ثقافي ستلاحظ أنّ الماركسية تستخدم مفاهيم كثيرة من مدارس نقدية أخرى سنطرحها في الكتاب، فمثلا ستلاحظ أنّ الماركسية تمارس ضربا من ضروب المدرسة البنيوية عندما تسعى للكشف عن التشابهات العميقة بين الديمقراطيين و المحافظين و الاشتراكيين مثلا، أو الثقافة الفاشية و نظم الدعم المالي للتعليم. وقد نرى الماركسية تمارس نوعاً من ممارسات المدرسة التفكيكية عندما تكشف أن العمل في الحقيقة يخفي قيما رأسمالية يروج لها بينما يبدو في الظاهر أنه ينتقدها. يبدو واضحا الآن أن الناقد الماركسي قد يبدو ناقدا من أية مدرسة أخرى و لكن في النهاية يستخدم كل ما يصل إليه لدعم التحليل الماركسي.

وبالطبع فإن المفاهيم التي طرحت حتى الآن لا تشمل كل المدرسة الماركسية ؛ إذ يوجد الكثير من الخلافات بين رؤى النقاد الماركسيين، فمثلا لا يوجد اتفاق حول تشكيل التكافل وأهميته في الطبقة العاملة الكادحة، أو دور الإعلام في التلاعب بالوعي السياسي، أو العلاقة بين الأيديولوجيا و علم النفس، أو مدى توافق الماركسية مع المدارس النقدية الأخرى. لكن المفاهيم التي طرحناها في هذا الفصل من الكتاب، تشكل المبادئ الرئيسة لكل الماركسيين التي بالطبع ستحتاجها لقراءة و فهم المنظرين و النقاد الماركسيين. قبل أن نوسع الحديث عن هذه المفاهيم و ندخل إلى عالم الأدب، سيكون من المفيد أخذ نظرة سريعة إلى كيفية نظر الماركسية إلى الأدب عموماً.

يعتقد الماركسيون أن الأدب لا يمكن أن يوجد في عالم جمالي، و لا زمني كشيء يُتأمّل بسلبية ؛ لأنه مثل جميع المظاهر الثقافية ليس سوى نتاج الوضع الاقتصادي- الاجتماعي و الأيديولوجيات الموجودة في زمن كتابته بصرف النظر عما إذا كان الكاتب مدركا لهذا أو لا، و لأن البشر أنفسهم نتاج بيئتهم الأيديولوجية والاقتصادية-الاجتماعية، فإنه من المتوقع أن يقوم الكتّاب بتجسيد الأيديولوجية بصورة ما.

إن الحقيقة التي مفادها أن الأدب ينشأ و يعكس الظروف المادية/التاريخية الحقيقية، تساعد الماركسيين في منحيين اثنين: الأول: قد يحاول العمل الأدبي دعم أيديولوجيات داخل نفس القارئ، الثاني: أن العمل الأدبي قد يدعو القارئ لانتقاد الأيديولوجيات التي يطرحها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الماركسيين لا يأخذون "المحتوى" —"الأحداث" أو المغزى التي تحتوي الأيديولوجيا— فقط بعين الاعتبار بل يهتمون "بالشكل" أو القالب أيضا الذي يمكن تتبعه من خلال فهم المذاهب و الأدوات الأدبية مثل المدرسة الواقعية، والطبيعية، و الرومانسية، و السريالية، والرمزية، و الحداثة، و ما بعد الحداثة، و الكوميديا، والتراجيدية، والهجاء، و المونولوج الداخلي، و تيار الوعي، وأنواع وأدوات أدبية أخرى. وإذا كان السؤال "ماذا" يدلنا عن محتوى الأدب، فإن "كيف" تخبرنا عن شكله.

و على سبيل المثال، تصور لنا الواقعية الأحداث و الشخصيات و كأنها تحدث في مشهد واقعي أمام أنظارنا من خلال نافذة. وبالتالي، نركز اهتمامنا على الحدث الذي تعبر عنه الكلمات بدلاً من التركيز على طبيعة تلك الكلمات في الصفحة. وفي الواقع، فإننا غالباً ما ننسى الكلمات التي نقرؤها والطريقة التي صيغت بها الحكاية لأننا نكون قد "استمتعنا"بالقصة. ويمكن أن نعزو جزءاً من السبب لعدم اهتمامنا بلغة العمل و بنيته، أي الشكل، إلى أن العمل المقدم لنا مرتب بتسلسل مترابط بحيث يدعونا لكي نتعامل معه مثلما نفعل مع الأحداث في حياتنا الخاصة. كما أن الشخصيات التي يصورها العمل تشبه الواقع، تماماً مثل أولئك الناس الذين نقابلهم في حياتنا. وهكذا نشعر أننا أصبحنا "داخل" القصة. وعلى النقيض من ذلك، نجد أن الكثير من أدب مدرسة ما بعد الحداثة (والأدب التجريبي غير الواقعي من أي نوع كان) قد كتب بأسلوب سريالي مفكك يصعب علينا فهمه، كما يبعدنا عن القصة والشخصيات التي يصورها.

لذلك نجد أن بعض الماركسيين يفضلون المدرسة الواقعية على غيرها من المدارس الأدبية، لأنها ببساطة تعرض العالم الواقعي من حولنا بصورة دقيقة، أي أنها تعرض الظلم الاقتصادي-الاجتماعي و تضارب الأيديولوجيات و بالتالي تمنح القارئ الفرصة لرؤية الحقائق البغيضة عن الواقع المادي التاريخي و هنا لا نعير أي اهتمام لإدراك الكاتب عما ينقل طالما هو أصلا ينقل واقعاً من خلال أدبه. لذلك نرى أن الكثير من الماركسيين المؤيدين للأدب الواقعي يرفضون الأدب غير الواقعي و الخيال التجريبي لكونه شديد التركيز على العقل الباطن للفرد لا على علاقة الفرد بالمجتمع. و لكن مع هذا فإن هناك كثيرا من الماركسيين الذين يقدرون الأدب غير الواقعي و الخيال التجريبي، لأن التجربة المشتتة التي يطرحها مثل هذا الأدب،و شعور القارئ بالاغتراب عند قراءته يشكلان انتقادا للعالم المشتت والإنسان المغرّب نتيجة للرأسمالية.

لنعرف كيف يؤثر شكل العمل الأدبي على فهمنا للمضمون (أو كيف يكون الشكل نوعاً من المضمون)، سنلقي نظرة أخرى على عمل آرثر ميلر "موت بائع متجول". رأينا آنفا أن المسرحية تحتوي على عنصر ماركسي واضح حيث تدعونا أحداثها لإدانة الاستغلال الرأسمالي الذي يعاني منه ويلي على يد رئيسه في العمل،و لملاحظة التناقضات الكامنة داخل الأيديولوجية الرأسمالية حيث تدعم مصالح العمل الضخم على حساب "الإنسان البسيط" الذي "آمن" بالقيم الرأسمالية. لكن و رغم هذا يقول كثير من النقاد الماركسيين إن هذا المغزى المضاد للرأسمالية في العمل،قلل من شأنه كثيرا لأن المسرحية كتبت بقالب تراجيدي حيث سيستحضر المشاهد و القارئ فكرة سقوط بطل التراجيديا نتيجة عيب مثل: العجرفة أو الغرور الزائد عن حده في شخصيته. إذا فالقالب التراجيدي يدفعنا إلى التركيز على عيوب ويلي باعتباره فرد أكثر من تركيزنا على المجتمع الذي ساعد في تكوين هذه العيوب، و بالتالي قد لا نعير اهتماما للتأثير السلبي و المدمر الذي أحدثته أيديولوجيا الرأسمالية.

على الرغم من أن الماركسيين ما انفكوا يختلفون حول الأعمال المفيدة أكثر في نشر الوعي الاجتماعي وإيجابية التغييرات السياسية، يتفق العديد منهم الآن على أن الأعمال التي تدعم الرأسمالية، و الإمبريالية، و القيم الطبقية مفيدة جداً في كونها ترينا كيف تعمل هذه الأيديولوجيات على إغوائنا أو دفعنا للتواطؤ مع برامجها القمعية. ونأخذ هنا مثالا آخر: رواية ماري شيلي Mary Shelley "فرانكنشتاين" Frankenstein (١٨١٨): حيث تعزز هذه الرواية من القيم الطبقية لدرجة أنها تقدّم هؤلاء الذين ولدوا للطبقة العليا مثل ألفونس فرانكنشتاين، و إليزابيث لافينزا باعتباره أناساً متفوقين عقليا و أخلاقيا على أولئك الأدنى منهم في الهرم الاجتماعي، حيث عرضت شخصياتهم بشراً وقحين، و عديمي الإحساس، و غوغائيين. و بالمقابل نرى عملا يقلل من شأن القيم الطبقية كما هو الحال في رواية توني موريسون Toni Morrison ، "العين الأشد زرقة" The Bluest Eye ١٩٧٠ ، حيث تعرض الرواية الظلم الممارس أثناء فترة النظام الطبقي الذي فرضته أمريكا الرأسمالية في أربعينيات القرن الماضي. نلاحظ هنا أنه و كما تُتهم الديانات و الأفلام المشجعة على التهرب بإيذاء الفقراء من خلال تشجيعهم على تجاهل واقعهم السيئ، بدلاً من تنظيم أنفسهم سياسياً و القتال ضمن مجموعات لنيل حقوقهم المشروعة، يمكن اتهام هذه الرواية أيضا بأنها تروج لمشروع ماركسي.

بعض الأسئلة التي يطرحها النقاد الماركسيون حول النصوص الأدبية

تلخص الأسئلة الآتية كيفية تعامل الماركسيين مع الأدب:

١- هل يدعم العمل الأدبي (عامدا أو غير عامد) القيم الطبقية أو الرأسمالية أو الإمبريالية؟ إذا كان الأمر كذلك فإن العمل الأدبي يدعم برامج هذه الأهداف، و تكون مهمة الناقد الماركسي أن يعرّي و يدين هذه الممارسة.

٢- كيف يمكن أن ينظر للعمل على أنه انتقاد للرأسمالية أو الإمبريالية أو الطبقية؟ بمعنى آخر، كيف يكشف العمل أو يدعونا لإدانة القوى الاقتصادية- الاجتماعية القمعية (بما في ذلك الأيديولوجيات القمعية)؟ إذا كان العمل الأدبي يقوم بنقد القوى الاجتماعية- الاقتصادية، فإنه قد يتهم باحتوائه على مشروع ماركسي.

٣- هل يقوم العمل الأدبي بدعم المشروع الماركسي من جهة و يدعم (ربما عن غير قصد) مشاريعَ رأسمالية أو طبقية أو إمبريالية من جهة أخرى ؟ للإيضاح أكثر: هل يحتوي العمل على أيديولوجيات متضاربة؟

٤- كيف يعكس العمل الأدبي (عامدا أو غير عامد) الظروف الاقتصادية- الاجتماعية التي كتب العمل في زمنها أو الزمن الذي تحدث فيه حبكة العمل، و ماذا تكشف لنا هذه الظروف عن تاريخ الصراع الطبقي؟

٥- كيف يمكن أن ينظر للعمل على أنه انتقاد للدين المنظم؟ للإيضاح أكثر، كيف يسعى الدين في العمل الأدبي لإبقاء الشخصيات بعيدة عن إدراك القمع الاقتصادي-الاجتماعي و مقاومته؟

بالاعتماد على العمل الأدبي موضع البحث، نستطيع أن نطرح سؤالاً واحداً أو أكثر من الأسئلة التي طرحناها آنفا، حيث إنها ليست سوى محفزات لنبدأ التفكير الأعمال الأدبية من منظور ماركسي. و هنا يجب أن نذكر أن النقاد الماركسيين لا يتفقون جميعا على تفسير واحد للعمل الأدبي، وإن ركزوا جميعا على المنحى نفسه. إن هدفنا من هذا الفصل هو أن نثري قراءتنا للأدب و نصل لتحليلات أكثر عمقا لم نكن لنصل إليها دون النظرية الماركسية. أما إذا أردنا أن نستخدم النظرية الماركسية وفق الهدف الذي تسعى هي إليه، فإننا بلا شك سنتمكن من وضع يدنا على الأيديولوجيات القمعية الكامنة في العمل الأدبي.

سنعرض فيما يلي قراءة ماركسية لرواية فرانسيس سكوت فيتزجيرالد المعنونة (جاتسبي العظيم) لنظهر التفسيرات التي قد يصل إليها ناقد ماركسي. علما بأن الرواية تركز على انتقاد الأيديولوجية الرأسمالية الأمريكية. كما سأحاول أن أشير إلى فشل الرواية النسبي في انتقاد الرأسمالية تماماً مما جعلها تصبح فريسة للأيديولوجية الرأسمالية التي تهاجمها هي أصلا.

"أنت بقدر ما تملك":قراءة ماركسية لرواية "جاتسبي العظيم"

كتب فرانسيس سكوت فيتزجيرالد Francis Scott Fitzgerald هذه الرواية "جاتسبي العظيم" The Great Gatsby (١٩٢٥) التي تقع أحداثها في حقبة العشرينيات من القرن الماضي، أي عند بداية الازدهار الاقتصادي ونهاية الحرب العالمية الأولى. و تعتبر هذه الرواية توثيقا للحلم الأمريكي عندما بدا الوعد بالفرص الاقتصادية في قمته، حيث عمت في وقتها حمى "كُن غنياً بسرعة" و فعلا نجح الكثيرون في تحقيق ذلك لأن الأسهم في وقتها كانت تشترى بهامش ١٠٪ ولذلك تمكن الناس البسطاء من اللعب بسوق الأسهم و تحقيق الثروات الطائلة. و نرى حمى تلك الأوقات و صخبها من خلال حديث ضيوف حفل جاتسبي حيث يتكلمون بثقة على وفرة الطعام و الشراب، و أنها لن تستنزف تماماً مثل مصادر الأمة، و نرى هذه الحمى كذلك في جاتسبي نفسه الذي تحول من ابن "أناس مزارعين غير ناجحين و عديمي الحيلة" (ص ١٠٤ ؛فصل ٦) إلى مالك لقصر هائل الحجم مع "حوض سباحة رخامي و حديقة تمتد لأكثر من أربعين هكتارا" (ص ٩ ؛ فصل ١) ، و هو ما يجسد الكثير مما يقدمه الحلم الأمريكي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا العمل الروائي لا يحتفي بالثقافة الرأسمالية التي يعرضها، بل على العكس تماما فهو حسب القراءة الماركسية يبرز الجانب المظلم لها، من خلال عرض مساوئ أولئك الشخصيات في أعلى الهرم الاقتصادي، وتمحيص الطرق التي يفشل بها الحلم الأمريكي في الوفاء بوعوده، بل و أيضاً كيف يساعد على انحدار قيم الشخصيات في هذا العمل. لكن القراءة الماركسية لن تقدم لنا كيفية انتقاد هذه الرواية للثقافة الرأسمالية

والأيديولوجيا التي تروج لها فحسب، بل ستقدم لنا أيضا كيفية فشل الرواية في انتقاد الرأسمالية بشكل كافٍ وبالتالي سقوطها فريسةً للأيديولوجيا التي تحاول مهاجمتها و تحقيرها.

من أهم الطرق التي تنتقد الرواية من خلالها الثقافة الرأسمالية عرض الآثار المدمرة لأيديولوجيتها على الجميع، حتى أولئك الذين يُعتبرون أنجح منتجاتها، و يتحقق كل هذا من خلال مفهوم التسليع الذي شرحناه آنفا. للتذكير فقط نقول إنّ السلعة تكون ذات قيمة فقط من خلال (قيمة التبادل) أو (قيمة سمة التبادل)، أي أن الشيء لا يستحق أن يكون سلعة إلا إذا امتلك إحدى هاتين القيمتين. مما لا شك فيه أن من يمنح الأشياء هذه القيم هم البشر داخل سياق اجتماعي معين. إذا فمفهوم التسليع هو علاقتنا مع الأشياء و الأشخاص بالاعتماد على القيم التي يمتلكونها. ولأن مفهوم التسليع يعني بالضرورة البيع و الشراء، يُعتبر التسليع أمرا لا غنى عنه في الرأسمالية التي يعتمد بقاؤها على مسألة البيع والشراء. و تشير الرواية إلى أن مفهوم التسليع ،وخصوصا فيما يتعلق بقيمة التبادل، ليس مجرد نشاط سوقي نتركه في مكتب العمل و نعود لبيوتنا بدونه، بل هو في الحقيقة اتجاه نفسي استطاع غزو جميع مناحي حياتنا.

ويتضح مفهوم التسليع بشكل كبير في الرواية من خلال شخصية توم بوكانن، الرجل الأغنى في العمل الروائي. وينظر توم إلى العالم وكل ما يحويه من أشياء و بشر باعتباره سلعاً فقط، لذلك نرى أن زواجه من ديزي لم يكن إلا مجرد عملية مقايضة لجمالها، و شبابها، و وضعها الاجتماعي مقابل مال توم و سلطته. ومن أهم الرموز على عملية الشراء في الرواية كان عقد اللؤلؤ الذي يساوي ٣٥٠،٠٠٠ دولار لزوجته المستقبلية ديزي. و يقوم توم بالطريقة نفسها وعن طريق ماله، و مكانته الاجتماعية بشراء ميرتل ويلسون والعديد من النساء الأخريات من الطبقة العاملة ليمارس معهن الرذيلة، كما كان الحال مع خادمة المنزل التي مارس معها الرذيلة بعد ثلاثة أشهر فقط من زواجه بديزي. ولا يفهم اختياره لنساء من الطبقة الدنيا لممارسة الرذيلة معهن إلا بأنه تسليع للبشر، فهو في النهاية يعطي المال مقابل جسد النساء المحتاجات له (قيمة التبادل).

إن تصرفات توم التسليعية في الرواية لا تقتصر على علاقاته مع النساء فحسب، و لكن نجدها تتجلى أيضا في ممتلكاته: و لأن الرأسمالية تعزز فكرة أن قيمة الإنسان مساوية لقيمة ما يملك، نجد أن سعادة توم بممتلكاته تتأتى من هذه الفكرة النابعة أيضا من قيمة التبادل؛ ففي النهاية تعطيه ممتلكاته وزنا اجتماعيا مقابل المال الذي يدفع ولذلك نجده يتكلم على بيته فيقول: "أملك منزلاً جميلا"، "لقد كان مملوكا لديمين Demaine، رجل النفط المعروف" (ص١٢ ؛فصل ١) . من الواضح هنا أن توم يتكلم و كأن أصالة المنزل تنتقل لشخصه. ومن الأمثلة الأخرى على رغبة توم باستعراض عضلاته الاقتصادية- الاجتماعية ذاك الموقف المتعلق باللعب بمشاعر جورج ويلسون عند الحديث عن رغبة ميكانيكي بشراء سيارة توم ليبيعها لاحقاً بمبلغ أكبر. و بما أن توم قد ورث ثروة ضخمة لدرجة أنه لا يمكن أن ينفقها كلها، فهل هو بحاجة فعلاً إلى مثل هذه المواقف لكي يرفع من معنوياته الاقتصادية-الاجتماعية.

ومن التناقضات الساخرة التي تتعلق بمبدأ التسليع في الرواية حقيقة أنّ التسليع يخلق رغبات جديدة حتى عند تحقيق تلك الرغبات، و ذلك لأن مبدأ الرضا عن القيمة الذاتية ينتج دائما عن معايير خارجية، كتقليعات الملابس، لذلك لا نستقر أبداً، و لا نشعر بالرضا عما نمتلك و لهذا تجدنا دائماً نسعى لامتلاك ما هو أحدث و أفضل وبهذه الحالة نظن إذا ما اشترى الآخرون شيئاً أفضل مما لدينا أنهم حسب هذا المنظور "أفضل" مما نحن عليه. ونعود لشخصية توم لنرى هذه الحالة من عدم الأمان و نقول إنه و في أثناء العمل الروائي يبقى معذبا بفكرة أنه لن يتربع أبدا في المنزلة الاجتماعية التي يحلم بها: كون الشخص ولد أصلا في الشرق. فعلى الرغم من أن توم ورث ثروته من عائلته الغنية في شيكاغو—أي أن هذه الثروة ليست "بجديدة" بمعنى أنه لم يحصل عليها خلال حياته —فإن عائلة هكذا في العشرينيات تعتبر "جديدة" في الشرق مقارنة بالعائلات الأخرى التي عاشت هناك منذ الهجرات الانجليزية و الهولندية الأولى. ولكي تكون ثرياً من وجهة نظر سكان الشرق، وذلك في العشرينيات على أقل تقدير، فإنه من أحد متطلبات الثراء أن تكون قد كسبت ثروتك ليس في الماضي فحسب، بل في الشرق. فإذا كنت ممن ينحدرون من الغرب، وبغض النظر عن حجم و قدم ثروتك، فإنك تعتبر بعيون الشرقيين من أولئك الذين قدموا حديثاً.

وبما أن توم قد درس في جامعة ييل Yale، فلا بد أنه كان مدركاً، كما كان فيتزجيرالد، للحقيقة المؤلمة التي لن تمكنه أبدا من تحقيق مقتضى المنزلة الاجتماعية الشرقية، التي تتأتى مع الولادة كما أسلفنا. وحتى في حال عودته و ديزي إلى أوروبا أو الغرب الأوسط، نجده يحمل هذا الإحساس المؤلم بالدونية الاجتماعية. لذلك نجده يحاول أن يصل إلى منزلة غير تلك التي لا يستطيع الوصول إليها، فيلجأ إلى أسلوب اجتماعي جديد مغاير تماما للذي لا يستطيع الوصول إليه، فمثلا يصبح كلامه عاميا، ويصبح صوته عاليا عندما يتحدث، ويصبح سلوكه العام أكثر جرأة ووقاحة إلى حد ما —وكل هذا ليطمئن نفسه أن كل ما يهم في الحقيقة هو المال و السلطة فقط، وهي محاولة لإظهار أن ثروته تعزله عن الاعتبارات المتعلقة باللباقة و الطبقية. كما أن "عقلانية" توم العلمية المزيفة عندما يتحدث إلى نيك على كتاب قرأه عن حضارة البيض—بالإضافة إلى العنصرية التي تعززها هكذا قراءة—يمكن أن تندرج في ذات الإطار. أما ادعاؤه بالقول إنه ينتمي إلى العرق الآري فهو ليس إلا محاولة أن ذلك يقابل بأهميته الانتماء إلى الثروات القديمة و أصحابها. وكما يقول توم: " لقد أنتجنا كل الأشياء التي تصنع الحضارة—آه، العلم، والفن، وكل ما إلى ذلك" (ص١٨ ؛ فصل ١).

ومن النتائج الطبيعية لقيام توم بتسليع الآخرين قدرته على التلاعب بهم بدم بارد ليحقق غاياته، إذ يُعرَّف التسليع على أنه اعتبار الأشياء "والناس" سلعاً أو "أشياء" لا أهمية لها إلا في مدى منفعتها لنا. لذلك نجده يقنع ميرتل ويلسون بإقامة علاقة جنسية معه عن طريق إيهامها أنه سيتزوجها يوما ما، و أن تردده في تحقيق ذلك يرجع

إلى مذهبها الكاثوليكي المزعوم وليس إلى عدم وجود الرغبة لديه. و لكي يزيح منافسه على حب ديزي، نجده يضحي بجاتسبي من خلال الإيقاع بينه و بين جورج ويلسون، حيث يرسل هذا الأخير مسلحاً وهائجاً إلى منزل جاتسبي من دون أن يحذره ولو هاتفياً. أما قدرات توم الشريرة، فتظهر من خلال معرفته بعالم الجريمة المتمثل بشخص والتر تشيس Walter Chase الذي كان منخرطاً بأنشطة غير مشروعة مع جاتسبي.

على الرغم من أن شخصية توم الشريرة قد تدفعنا للتعاطف مع هؤلاء المعتمدين عليه لا نرى ديزي ضحيةً بريئة لتسليع توم لها حيث إن قبولها للآلئ و زواجها من توم في الأصل لم يكن إلا عملية تبادل قيمة بالنسبة لها وهذا يجعلها مثله بطريقة ما. لذلك نستطيع القول إنها تشكل نسخة أخرى من توم، حيث تقوم هي أيضا باعتناق أي فكرة مهما كانت طالما تعتقد أنه سيحسن من وضعها وهذا يبرز عندما قامت بتسليع إحساسها بالاستياء من أجل إثارة إعجاب نيك:

"أترى يا نيك؟ أعتقد أن كل الأمور الآن مزرية" وتابعت حديثها مبدية قناعتها، " الجميع يعتقدون ذلك حتى أكثر الناس تقدما! أنا أعلم ذلك لأنني ذهبت إلى كل الأماكن، و رأيت و فعلت كل شيء." قالت هذا وومضت عيناها حول المكان بتحد وكأنها عيون توم ....

من اللحظة التي انقطع كلامها... استطعت استشعار عدم صدق ما قالته... وفي لحظة نظرت إلي بابتسامة متكلفة على وجهها الجميل وكأنها تؤكد عضويتها في مجتمعية سرية متميزة كانت قد انضمت إليها بصحبة توم. (ص ٢١-٢٢ ؛ فصل ١)

وإذا نظرنا إلى علاقة ديزي خارج نطاق الزوجية مع جاتسبي، كما هو الحال بعلاقتها الرومانسية السابقة معه، نرى بوضوح أنها مبنية على مبدأ التسليع في الحياة حيث إنها لم تكن أبدا لتهتم به لو كان هو من طبقة غير طبقتها. و يبدو التسليع جليا بشكل أكبر عندما وافقت بسهولة أن يأخذ جاتسبي اللوم في مقتل ميرتيل على نفسه وتعود هي مسرعة إلى قصرها برفقة زوجها توم، و هذا مما لا شك فيه يشير إلى أنها ،مثل زوجها توم تماما، مستعدة للتضحية بأي شخص و بدم بارد أيضا طالما يخدم هذا مصلحتها (التسليع).

ويبدو مبدأ تسليع عائلة بوكانن لعالمهم و ثروتهم الطائلة التي تتيح لهم "سحق الأشياء و الأفراد ومن ثم الانسحاب نحو أموالهم " (١٨٧-٨٨ ؛فصل ٩) أمراً مرفوضاً من خلال التباين الاقتصادي- الاجتماعي الذي يمثله "وادي الرماد" (٢٧ ؛فصل ٢) بالقرب من مكان سكن جورج و ميرتل ويلسون .لا مكان لأناس من أمثال عائلة ويلسون في عالم يهيمن عليه أفراد مثل عائلة بوكانن. "فوادي الرماد" هذا—

حقل رائع حيث ينمو الرماد كالقمح على التلال و الحدائق الغريبة. في هذا الوادي يتخذ الرماد شكل المنازل والمداخن و الدخان الصاعد منها و يتخذ أيضا شكل الرجال الذين يتحركون ببلادة و يتفتتون في الهواء المليء بالرماد" (٢٧ ؛فصل ٢)

—يشكل صورة قاسية لحياة أولئك البشر الذين لا يتمتعون بالموارد الاقتصادية- الاجتماعية التي تمتلكها عائلة بوكانن. إن الرماد هو ما يتبقى بعد أن يتم استهلاك شيء أو إحراقه ولأن الوادي بالمعنى الحرفي ليس إلا منطقة "لإلقاء القمامة" حيث "يأتي أحياناً طابور من عربات [قطار] رمادية... بغرض الاستراحة، ويتسارع الرجال الموشحون بالرماد وهم يحملون المجارف الرصاصية و يثيرون سحابة لا يمكن اختراقها" (٢٧ ؛ فصل ٢) بينما يفرغون النفايات من العربات. ومن الواضح أن الوادي يبدو مكانا "لإلقاء البشر" المعدمين أيضا. و بالإضافة إلى الرجال الذين يزيلون القمامة من القطار، يوجد هناك فقط "عدد قليل من المحلات المبنية بالطوب الأصفر" (٢٨ ؛ فصل ٢) تحتوي على محل للإيجار، ومطعم يفتح طوال الليل يتجه نحوه خط من الرماد" (٢٩ ؛ فصل ٢)، وورشة عمل تابعة لجورج ويلسون يسكن فوقها هو وميرتل في شقة صغيرة.

من هذه البيئة المكانية والزمنية بالذات تولد فكرة الحلم الأمريكي حيث ينشأ الحلم عادة من وضع ميؤوس منه ليكبر و يصبح حلما بالوصول إلى الأمان المادي، ورغم هذا تنبئ اللغة المستخدمة في وصف هذا المشهد بأن هذه البيئة أرض اليأس والأحلام المستحيلة فهي"أرض رمادية"، "غير قابلة للحرث"، و"مليئة بموجات الغبار الداكنة...التي تتدفق بدون توقف" و"مطوقة بنهر صغير ملوث" (٢٧-٢٨ ؛ فصل ٢). ولا يوجد هناك أطفال، ولا ما يشير على الأقل إلى مستقبل أفضل، باستثناء "الطفل الإيطالي الهزيل المغطى بالرماد...الذي يضع [الألعاب النارية] في صف واحد على مسار السكة الحديدية" (٣٠ ؛ فصل ٢)، والذي بالكاد يجسد مستقبلاً واعداً. لذلك يبدو جليا أن الطريقة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة في مثل هذا الجحيم هي أن تسمح لأفراد مثل توم باستغلالك، كما فعل جورج عندما سمح لتوم بإذلاله في سبيل إقناعه ببيع سيارته، و كما سمحت ميرتل لتوم بأن يسيء معاملتها على أمل أن تخرج من الحياة التي تعيشها في وادي الرماد إلى الأبد. ولكن مع نهاية العمل يكتشف كل من ميرتل و جورج أن الطريقة الوحيدة للخروج من "مكب نفايات" الرأسمالية هي الموت.

وحين ننظر إلى جيه جاتسبي، الشخصية التي من المفترض أن تمثل الحلم الأمريكي و الأمل الذي تمنحه الرأسمالية للجميع، نكتشف من خلال معاينة أكثر دقة لشخصيته، فراغ الحلم الأمريكي وخداعه. لقد انقلبت حياة جاتسبي من فقر مدقع إلى ثراء فاحش خلال أعوام قليلة. لقد كان "برنامجه" في مرحلة صباه، والذي كان ينظم أوقاته فيه، يتضمن تحسين الذات على طريقة بنجامين فرانكلين، وبين مساعي أخرى، كممارسة "الخطابة" ودراسة "الاختراعات اللازمة" (١٨١ ؛ فصل ٩)، الأمر الذي يجد صدى له مع صورة الحلم الأمريكي للرجل العصامي. وعلى الرغم من أن الدافع من وراء سعيه لتجميع الثروة هو دافع بريء، أي الفوز بقلب ديزي، نرى أنه لم ينجح في إيصاله لمن يحب. إذا ما افترضنا أن جاتسبي هو الممثل الأكبر لفكرة الحلم الأمريكي يبدو جليا لنا كم هو فاسد هذا الحلم لأن جاتسبي حقق كل الثروة التي يمتلكها من خلال أعمال إجرامية و هذا ما يهدم بلا شك صورة الفرد

الصادق والعامل الجاد التي يدعي الحلم الأمريكي أنه يرعاها و يشجعها. وعلى الرغم من أن شخصية جاتسبي تتمتع بسحر أكثر من توم و ديزي، إذ يصوره نيك على نحو أكثر تعاطفا، إلا أنه يقوم بتسليع عالمه تماماً كما يفعلون هم. وفي الواقع، يمكن القول أنه يفعل ذلك بدرجة أكبر.

وهنا لا بد من ملاحظة أنه مهما بلغت أهمية ممتلكات عائلة بوكانن لهم من ناحية قيمة سمة التبادل، إلا أن هذه الممتلكات تتمتع أيضا بقيمة الفائدة، فنراهم مثلا يأكلون على طاولاتهم الفاخرة و يستلقون على أرائكهم الوثيرة. أما إذا نظرنا لجاتسبي، فنرى أنه لا يستخدم في قصره الضخم الرائع سوى غرفة نومه البسيطة. و نضيف هنا أننا لا نراه في العمل الروائي في تلك الغرفة إلا مرة واحدة وكان هدفه هنا أن يري الغرفة لديزي. و بالفعل فنحن لا نرى جاتسبي يتمتع بمكتبته، أو بحوض السباحة، أو بالقارب المائي، أوبشرب الخمر. و نلاحظ بالإضافة لكل هذا أنه حتى لا يعرف معظم الضيوف في حفلاته المترفة. و بهذا يبدو جليا أن الغاية من ممتلكاته المادية هي فقط متعلقة بـ قيمة سمة التبادل: فهو لا يريد من هذه الممتلكات سوى التألق الذي يجنيه امتلاك هذه الأشياء. ونلحظ هنا أيضا أن سمة سلعه هي سمة جوفاء، فمكتبته مليئة بكتب لم تُفتح قط، " محاكاة .... فندق دي فيل" ب "ببرجه الباسق "الجديد" تحت طبقة خفيفة من اللبلاب المتعرش" (ص٩ ؛ فصل ١)، و صورته في جامعة أكسفورد ليست إلا رمزا لمظاهر خادعة خالية من أي جوهر. لذا يمكن القول بأن كل ما حققه و امتلكه جاتسبي كان موجها نحو هدف واحد: حصوله على مظهر قيمة سمة التبادل و بالتالي امتلاك ديزي .

إن امتلاك ديزي من قبل جاتسبي سيمنحه ما يريد فعلا: سمة دائمة أنه ينتمي لنفس الطبقة الاقتصادية-الاجتماعية البراقة الكاملة الفارهة – طبقة الأثرياء التي جسدتها ديزي عندما التقى بها لأول مرة. إن وجود ديزي منح المنزل الذي عاشت فيه شعورا "أخاذا"،

> كانت بعض غرف النوم في الطابق العلوي أجمل و ألطف جوا من غيرها. كان هناك مرح و وحب و رومانسية في الأروقة... كانت رائحة السيارات الجديدة عابقة، و كانت الرقصات و الورود التي نادرا ما تذبل. (ص ١٥٥-١٥٦ ؛ فصل ٨)

و الأهم من كل هذا فإن امتلاك ديزي، السلعة الأهم، سيمكّن جاتسبي من "غسل" "أمواله الجديدة" ويجعلها تبدو أموالا "قديمة"، فيجعل من "برجه الباسق" المحاكي لفندق دي فيل معلماً عريقاً. إذاً، ما يقوم به جاتسبي ليس إلا عملية تجميع سلع للحصول على سلع أخرى و في هذه الحالة فالسلعة الأخرى الأهم هي ديزي.

من هنا نلحظ أن تسليع جاتسبي لعالمه مماثل تماما لما يقوم به توم حيث إنه مرتكز أيضاً على عدوانية باردة للوصول لما يريد، ففجوة الرفاهية التي يعيش فيها جاتسبي لم تأت من فراغ لأنها مدعومة من عالم مظلم شرير مليء بالفساد و الجريمة و الموت. و تتضمن الأنشطة التي جمع جاتسبي من خلالها ثروته التهريب غير الشرعي و

بيع السندات المزيفة، و هنا نأتي على ذكر "مبير ولفشيم" الذي يملك من العلاقات في عالم الجريمة أن "يعبث" بنتيجة دوري كرة القاعدة عام ١٩١٩ وهو ذات الرجل الذي يفتخر بكونه مَن منح جاتسبي فرصة البداية.

ونرى لمحة عن هذا العالم "البغيض" في ملامح خدم ولفشيم الإجراميين (ص١١٩ ؛فصل ٧) الذين أرسلهم للعمل لصالح جاتسبي، وأيضا نرى هذا في المكالمات الهاتفية الإجرامية التي يتلقاها جاتسبي (و التي يتلقاها نيك بالصدفة بعد موت جاتسبي). إن العالم الذي دخله جاتسبي لتحقيق حلمه ليس إلا عالماً من المفترسين والضحايا حيث الخمر غير المرخص– والسيئ النوع في الغالب – يُباع علناً لأي كان ما دام يمتلك النقود، ونرى أيضا بيع السندات المزيفة لمستثمرين بسطاء. وبعض من يشتري ذلك الخمر قد يصيبه المرض بسببه وبعضهم قد يموت. وكل صغار المستثمرين الذين يشترون السندات المزيفة سيخسرون نقودهم الي ستتسبب بإفلاسهم. وعندما تحدث أخطاء من قبل المجرمين و تتدخل يد القانون، نرى أنه يجري التضحية بشخص ما ليتحمل كل اللوم كما فعل جاتسبي بوالتر تشيس Walter Chase.

ولو أخذنا رغبة جاتسبي في الحصول على ديزي لوجدنا أيضا أن هذه الرغبة تكونت من خلال منظور العالم السفلي، حيث نرى كيف "أقنعها جاتسبي في المرة الأولى التي يجهر لها بحبه في منزل أهلها في مدينة لويزفيل أنه من نفس الطبقة التي تنتمي هي إليها"، بينما في الحقيقة "لم تكن لديه عائلة ميسورة الحال تقف خلفه و تدعمه و أنه كان عرضة لهوى الحكومة ليتم إرساله لأي مكان في العالم" (ص ١٥٦ ؛ فصل ٨)

> مهما كان مستقبله مشرقا... كان في الحاضر شابا (جنديا) مفلسا بلا ماض و في أية لحظة قد ينتهي تكليفه العسكري مما حتّم عليه استغلال وقته بشكل كبير. أخذ كل ما استطاع أخذه بضراوة– و بالنهاية في ليلة من ليالي أكتوبر (تشرين الأول) الهادئة أخذ ديزي، أخذها لأنه لم يملك حتى حق لمس يدها. (ص ١٥٦ ؛ فصل ٨)

حتى اللغة المستخدمة في تلك اللحظة لم تكن لغة تنتمي للحب بأية طريقة "أخذ ما استطاع الحصول عليه بضراوة وبلا ضمير" (ص ١٥٦). في الحقيقة تبدو هذه اللغة أنسب لوصف قاطع طريق أو سفاح لا عاشق، فهي ذلك النوع من اللغة التي تناسب صحبة جاتسبي المريبة مع دان كودي Dan Cody قبل لقائه بديزي، وتتناسب مع نشاطاته الإجرامية التي تلت علاقته الغرامية بديزي للمرة الأولى.

وبالتالي فإن جاتسبي ليس مستثنى من التصوير البغيض المعروض عن الأغنياء. و في الواقع، فإن تصوير شخصيته يثبت لنا أن الحلم الأمريكي لا يعطينا بديلا أخلاقيا عن عالم عائلة بوكانن المسلّع مثلا، بل على العكس ينتج ذات التسليع للبشر و الأشياء على حد سواء. إن هذا العمل الروائي بلا شك يفضح آثار الرأسمالية الهدامة على الفائزين اقتصادياً واجتماعياً مثل توم، و ديزي، و جاتسبي، و على الخاسرين أيضا مثل ميرتل و جورج.

في مقابل انتقاد هذه الرواية القوي للرأسمالية هناك وجهة النظر القائلة بأن الرواية ليست إلا تعزيزا ماكرا لأيديولوجية الرأسمالية القمعية. وترتكز وجهة النظر هذه على مناح ثلاثة: الأول: أن التصوير البغيض لشخصيات ميرتل و جورج يدفعنا نحو تجاهل حقيقة أن كليهما ضحية للنظام الرأسمالي الذي يكافحان للبقاء على قيد الحياة تحت مظلته. الثاني: لأن نيك قد أغري بالحلم الأمريكي الذي يمثله جاتسبي نرى لغته عند الحديث عن جاتسبي لغة رومانسية رقيقة جميلة وهذا بدوره يؤثر على رؤية القارئ لجاتسبي. الثالث: أن اللغة المترفة التي استخدمت في وصف حياة الأغنياء مثل عائلة بوكانن تجعل القارئ ينجذب إليها دون أخذ الناس الذين يعيشونها بعين الاعتبار.

إنّ الخلل الأكثر وضوحاً في هذه الرواية من وجهة نظر ماركسية هو طريقة العرض الخالية من التعاطف مع كل من شخصيتي ميرتل، و جورج ويلسون اللذين يمثلان الطبقة الدنيا في الحبكة. و تحاول كلتا الشخصيتين أن تحسنا من ظروفهما بالطرق الوحيدة المتاحة لهما فنجد جورج قوي التمسك بعمله الذي بدأه توا و نرى ميرتل تسوق البضاعة الوحيدة التي تملكها (جسدها) فها هي تؤجره لتوم على أمل أن يشتريه يوما ما و يتزوجها. هاتان الشخصيتان ليستا إلا ضحيتين حاولتا النجاح في ظل اقتصاد رأسمالي حيث إن النجاح فيه لا يتأتى إلا عن طريق السوق. و الأسواق المتاحة لهما لم تمكنهما من النجاح و ألقت بهما في "وادي الرماد". ويعترض الماركسيون على طريقة عرض الحقائق الاقتصادية-الاجتماعية التي تتحكم بحياة ميرتل و جورج حيث إن طريقة عرضهم هذه قد تظهرهم نموذجين سيئين من أفراد الطبقة الدنيا فهو مشار له في العمل على أنه ليس بذكي ومشار لميرتل على أنها صاحبة صوت صاخب و مولعة بالجنس على نحو فاضح. لذلك قد نشعر بالأسف على جورج لبعض الوقت لكن هذا الأسف يزول مع فشله المتكرر. وبدلا من أن نمتعض من النظام غير العادل نمتعض من جورج نفسه الذي لا يستطيع انتشال نفسه من براثن وضعه السيئ: أي أننا نغضب من الضحية لا من النظام الذي يقمع الضحايا.

ومن الأمور الأخرى التي تؤخذ على الرواية من وجهة نظر ماركسية طريقة كلام نيك عن جاتسبي. فكما أسلفنا يتحدث نيك عن جاتسبي بلغة رومانسية دافئة على الرغم من أنه يفترض به أن يتحدث عنه بطريقة سيئة تماما كما يتحدث عن عائلة بوكانن و لنفس الأسباب المتعلقة بالثراء الفاحش، و تسليع الآخرين. فمثلا يقول نيك عند الحديث عن جاتسبي: "إنّ هناك شيئاً رائعاً في هذا الرجل فهو يمتلك حساسية دافئة لوعود الحياة... لقد كانت هديته مليئة بالأمل و الرومانسية التي لم أرها ومن غير المرجح أنني سأراها في أحد أبدا" (ص ٦ ؛ فصل ١).

ويبرز إعلاء نيك لشأن جاتسبي أيضاً من خلال تركيزه على وصف جاتسبي بأوصاف رومانسية: الفتى الثائر، والشاب الطموح، و الحالم المثالي، و العاشق المخلص، و الجندي الهمام، و المضيف السخي و ما إلى ذلك من أوصاف رائعة. وعند حديث نيك عن الأمور الإجرامية التي يقوم بها جاتسبي نجد لغته تأخذ القارئ بعيدا عن إدانة العمل الإجرامي أخلاقيا فمثلا يقول: "قالت الشابات إنه مهرب و هن يمضين إلى مكان ما بين خليط مشروباته

والورود." (ص ٦٥ ؛ فصل ٤) فمن الواضح من لغة نيك أنه يحاول التغطية على عمل جاتسبي الإجرامي ضد منتقديه حتى عندما يكونون على حق من خلال جمالية كلامه عن سخاء جاتسبي و رونق قصره و حديقته، و بالتالي تهميش حقيقة أن " حفلاته و وروده" لم تكن في الحقيقة ملكه حيث جرى شراؤها بأموال حُصِّلت من أعمال إجرامية.

وبطريقة مشابهة يؤثر نيك أيضا على ردة فعلنا من سلوك جاتسبي من خلال كلامه العاطفي على هذه السلوكيات و الأحداث التي هي مشينة في حقيقة الأمر، فمثلا عندما واجه توم جاتسبي اعترف الأخير أمام الجميع أن تجربته في أكسفورد جاءت بترتيب حكومي للجنود الأميركيين الذين بقوا في أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، "أراد نيك هنا أن يقف و يصفعه" (ص ١٣٦ ؛ فصل ٧). إن هذه التنازلات الصغيرة التي قدمها جاتسبي لعرض الحقيقة جددت في نيك "إيمانا أكبر في جاتسبي " (ص ١٣٦ ؛ فصل ٧). و على الرغم من معرفة مصادر ثروة جاتسبي في العالم السفلي يقول نيك أن جاتسبي مستثنى من سخطه، "جاتسبي كان إنسانا جيدا في النهاية ؛ إنّ الشيء الذي افترس جاتسبي والذي طرح الغبار الكريهة في أعقاب أحلامه " (ص ٦ ؛ فصل ١) كان محط سخط نيك و الكثير من القراء أيضا. إن كلام نيك الدافئ عن جاتسبي دفع العديد من النقاد للتأثر به ورؤيتهم له على أنه رجل صالح، فنرى مثلا الناقد توم بيرنام Tom Burnam يقول "لم يَفسد جاتسبي رغم الفساد الذي أحاط به" (ص ١٠٥)، و تقول الناقدة روز أدريين جالو Rose Adrienne Gallo إن جاتسبي "حافظ على براءته حتى النهاية" (ص ٤٣) .[1]

ولكن لماذا يخدع نيك نفسه و يخدعنا أيضا فيما يتعلق بجاتسبي؟ لماذا يبرز صفاته المحببة و إيجابياته و يلقي بسلبياته على عاتق الآخرين؟ أعتقد أن السبب وراء هذا يكمن في حقيقة أن الراوي نفسه (نيك) قد سحر بحلم جاتسبي. لقد بلغ نيك الثلاثين وما زال معتمدا على والده ماديا بينما يحاول أن يتبين ما عليه القيام به، و هذا يجعله متمسكا بمثال حلم مثل حلم جاتسبي ليمنحه الأمل في الحياة. يبدو جليا في الرواية أن نيك خائف من حقيقة أن كل ما يصبو إليه عبارة عن "مجموعة من الرجال غير المتماسكين، و حقيبة مهترئة من الحماس، و شعر مترقق" (ص ١٤٣ ؛ فصل ٧) . فمع صيفه في نيويورك – و سلسلة مغامراته الأخيرة – التي انتهت بشكل مأساوي، يريد نيك أن يؤمن أن حلم جاتسبي يمكن أن يكون حقيقياً و ينطبق عليه: رجل محطم لا يملك شيئا ينجح ماديا، و يجد فتاة أحلامه، و ينظر للمستقبل بأمل لعله يوما ما يحقق حلما مثل حلم جاتسبي. ولهذا نجده يغض الطرف عن حقيقة فساد حلم جاتسبي و يتآمر مع رغباته وهذا بلا شك قد يؤثر على القارئ، و يدفعه أيضا للتواطؤ مع حلم جاتسبي الفاسد.

يقول الناقد أندرو ديلون Andrew Dillon إن "جاتسبي امتلك العالم الذي يرغب القارئ بامتلاكه: الحاضر الماجن" (٦١) و هذا بطبيعة الحال يظهر مدى قوة و سيطرة فكرة السلعة. لذلك نقول إن عدم استغلال جاتسبي لجميع مناحي الرفاهية في قصره، وقاربه الطائر، وحوض السباحة، ومكتبته، قد يدفع القارئ للتفكير بأنه لو كان مكانه لاستغل كل شيء حتى النخاع. و هذه أحد المآخذ الماركسية الأخرى على هذه الرواية، إذ إن اللغة الراقية الجذابة والساحرة التي استخدمت لوصف عالم جاتسبي المرفّه و الفخم تجعل القارئ يميل إلى فكرة التسليع. كل شيء في حفلاته المترفة من مشروبات و أطعمة و ما إلى ذلك يخلق جوا سحريا يستميل القلوب و الشهوات. نرى مثلا المشروبات تبدو فاتنة: "صينية المشروبات **تطفو** نحونا من خلال الشفق" (ص ٤٧ ؛ فصل ٣)، و على "طاولات الأطعمة نرى الأطعمة المزينة و المتبلة ومن حولها تصاميم السلطات و الديوك **المائلة** للون الذهب الداكن" (ص ٤٤ ؛ فصل ٣).

وتبدو أيضا فكرة السلع و التسليع جلية أيضاً في وصف منزل عائلة بوكانن في " إيست إج":

كان منزلهم ... قصرا بهيجا ملونا بالأحمر و الأبيض على الطراز الجورجي مطلا على مياه الخليج. وكان موجه يبدأ بالشاطئ و يمتد نحو الباب الأمامي لمسافة ربع ميل ثم يقفز فوق ساعات شمسية و ممرات من القرميد و حدائق غنّاء، وأخيرا حين يبلغ القصر ينساب على جوانب كروم مشرقة كأنما بقوة استمرار جريانه ؛و كان يقطع الواجهة خط من النوافذ الفرنسية تتوهج في تلك اللحظة بانعكاس الأصيل الذهبي، و قد انفرجت النوافذ لتستقبل المساء الدافئ....

شمل المنظر الأمامي ... حديقة منخفضة على الطراز الإيطالي، و نصف فدان من الأزهار الغامقة اللون الحادة الرائحة وقاربا بخاريا أفطس المقدمة يقارع المد بهديره على الشاطئ....

مشينا عبر ممر عال متجهين نحو مكان بهي وردي اللون تربطه بالبيت من نهايته بصورة توحي بوشك الانفصال نوافذ فرنسية .... هبت نسمة قوية في الغرفة أطارت الستائر كالأعلام الشاحبة ثم رفعتها باتجاه السقف الشبيه بكعكة العرس البيضاء، ثم انحدرت الستائر و انصبت على السجاد الخمري اللون ملقية عليها ظلا كظل الريح فوق البحر. (ص ١١-١٢ ؛ فصل ١)

مما لا شك فيه أن هذه الفقرة تداعب الحواس الخمس لأي إنسان، فاللغة المستخدمة حسية جدا لدرجة تجعل المنزل وكأنه مخلوق حي يتنفس. و يمنح مثل هذا الوصف المكان صفة مستقلة عن ساكنيه: أي أن المكان لا يحتاج لتوم وديزي ليبدو بهيّاً، و أنه سيبقى بهيا حتى بعد ذهاب عائلة بوكانن. و نستطيع في الحقيقة و بكل سهولة وسعادة أن نتخيل هذا المكان بدون ساكنيه ؛أي أن المكان أكبر من عائلة بوكانن فهو يحتويهم و يتفوق عليهم. فهم لا يستهلكونه و لا يستنزفون إمكانياته. و هذا بدوره يشد القارئ بعيدا عن ساكنيه (عائلة بوكانن) و مدى الفساد الذي

يعيشون فيه. ولهذا يبدو المكان منيعا في وجه فسادهم: فنجد أننا لا نربط بين المكان و الأحداث التي تحدث فيه. وبالتالي يفرض القصر نوعا من الجاذبية المغناطيسية لدى العديد من القراء. لذلك يقول الماركسيون أن فيتزجيرالد بلا ريب منتقد للرأسمالية لكنه أيضا شاعرها المتوج، فأسلوبه الشعري في وصف سلع الرأسمالية يجذب القراء أكثر من انتقاد الرواية للرأسمالية.

رغم أن "جاتسبي العظيم" توفر نقدا فعالا للرأسمالية إلا أنها في الوقت نفسه تسوق لأيديولوجيتها بقالب جديد. ومما لا شك فيه أن هذه الازدواجية في النص تمنح العمل حسّاً ساخراً: فإذا قمنا بـ "تشغيل القوارب والإبحار عكس التيار، لنعود للماضي" (ص ١٨٩ ؛ فصل ٩) نجد أن هناك في الرواية ما يدعم الاتجاه الآخر و يضعنا تحت تعويذة الرأسمالية. وتنتهي الرواية بفشل جاتسبي في تحقيق الحلم الأمريكي، ولكن بما أنّ الرواية سقطت فريسة للأيديولوجيا الرأسمالية التي حاولت إدانتها، نرى كثيرا من القراء يعودون لقراءتها و مناقشتها.

أسئلة للمزيد من التدريب: تطبيق النهج الماركسي في التعامل مع أعمال أدبية أخرى:

يفترض من الأسئلة التالية أن تكون نموذجية حيث يمكن تطبيقها في استخدام النظرية النقدية الماركسية لتفسير الأعمال الأدبية التي سنذكرها أو أي أعمال أدبية أخرى يختارها القارئ:

١- كيف تبدو البنية الطبقية في قصة "وردة لإيميلي" A Rose for Emily ١٩٣١ للمؤلف ويليام فوكنار William Faulkner مسؤولة عن معظم أحداث و شخصيات القصة؟ هل تعتقد أن القصة تدعونا لانتقاد الطبقية أم لا؟

٢- ماذا عسانا أن نتعلم عن الإسراف في الاستهلاك و التسليع من قصة " الدرس" The Lesson(١٩٧٢) لـ توني بامبارا Toni Bambara؟ وكيف توظف القصة طرحها لهذه الوقائع الرأسمالية في انتقاد القمع الطبقي؟

٣- كيف يمكننا اعتبار رواية جون شتاينبك John Steinbeck "عناقيد الغضب" Grapes of Wrath ١٩٣٩ نقداً ماركسياً للرأسمالية الأمريكية؟ و كيف يدعم قالب الرواية (الواقعية) هذا الطرح؟ كيف تُضعف نهاية نسخة الفيلم من هذه الرواية أهمية نهاية الرواية الأكثر واقعية؟

٤- أعط وصفا للنظام الطبقي المتحكم بحياة الشخصيات في قصة كيت تشوبن Kate Chopin القصيرة "العاصفة" The Storm (١٨٩٨). كيف فشلت القصة في انتقاد الطبقية التي تحدثت عنها؟

٥- كيف يمكننا اعتبار قصة لانغستون هيوز Langston Hughes "على الطريق" On the Road (١٩٥٢) نقداً ماركسياً للدين المنظم؟

ملاحظات

١- لوجهات نظر مماثلة عن جاتسبي، انظر مثلاً بيولي، و كارترايت، وتشيس، و ديلون، و هارت، و لو فوت، و موور، و ناش، و ستيرن، و تريلينغ. ولوجهات نظر للجانب الشرير عند جاتسبي، انظر مثلاً بولي و راو.

For further reading

Day, Gary. Class. New York: Routledge, 2001.
Eagleton, Terry. Marxism and Literary Criticism. Berkeley: University of California Press, 1976.
Haslett, Moyra. Marxist Literary and Cultural Theories. New York: St. Martin's, 2000.
Horkheimer, Max, and Theodor Adorno. Dialectic of Enlightenment. 1944. Trans. John Cumming. New York: Continuum, 1982. (See especially "The Culture Industry," 120–67.)
Marx, Karl. Capital: A Critique of Political Economy. 1867. New York: International Publishers,1967.
———. Economic and Philosophic Manuscripts of 1844. New York: International Publishers, 1964.
Veblen, Thorstein. The Theory of the Leisure Class: An Economic Study of Institutions. 1899. New York: Mentor-NAL, 1953.
Weber, Max. The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism. New York: Scribner's, 1958.
Williams, Raymond. Marxism and Literature. Oxford: Oxford University Press, 1977.
Wright, Erik Olin. Class Counts. Student Edition. New York: Cambridge University Press, 2000.

For advanced readers:

Althusser, Louis. Lenin and Philosophy and Other Essays. Trans. Ben Brewster. New York: Monthly Review, 1971. (See especially "Ideology and Ideological State Apparatuses," 127–86.)
Baudrillard, Jean. For a Critique of the Political Economy of the Sign. 1972. Trans. Charles Levin. St. Louis: Telos, 1981.
Benjamin, Walter. Illuminations. Trans. Harry Zohn. Ed. Hannah Arendt. New York: Harcourt, Brace and World, 1955.
Bennett, Tony. Formalism and Marxism. London: Methuen, 1979.
Habermas, Jurgen. The Philosophical Discourse of Modernity. Trans. Frederick Lawrence. Cambridge, Mass.: The MIT Press, 1987.
Howard, Jean E., and Scott Cutler Shershow, eds. Marxist Shakespeares. New York: Routledge, 2001.
Jameson, Fredric. The Political Unconscious: Narrative as a Socially Symbolic Act. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1981.
Laclau, Ernesto, and Chantal Mouffe. Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics. London: Verso, 1985.
Lukacs, Georg. History and Class Consciousness. 1923. Trans. Rodney Livingstone. Cambridge, Mass.: The MIT Press, 1971.
Macherey, Pierre. A Theory of Literary Production. Trans. G. Wall. London: Routledge and Kegan Paul, 1978.
Žižek, Slavoj. The Sublime Object of Ideology. London: Verso, 1989.

Notes

1. For similar views of Gatsby, see, for example, Bewley, Cartwright, Chase, Dillon, Hart, Le Vot, Moore, Nash, Stern, and Trilling. For views of Gatsby's sinister side see, for example, Pauly and Rowe.

Works cited

Bewley, Marius. "Scott Fitzgerald's Criticism of America." Sewanee Review 62 (1954): 223–46. Rpt. in Modern Critical Interpretations: F. Scott Fitzgerald's The Great Gatsby. Ed. Harold Bloom. New York: Chelsea, 1986. 11–27.

Burnam, Tom. "The Eyes of Dr. Eckleburg: A Re-Examination of The Great Gatsby." College English 13 (1952). Rpt. in F. Scott Fitzgerald: A Collection of Critical Essays. Ed. Arthur Mizener. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1963. 104–11.

Cartwright, Kent. "Nick Carraway as Unreliable Narrator." Papers on Language and Literature 20.2 (1984): 218–32.

Chase, Richard. "The Great Gatsby": The American Novel and Its Traditions. New York: Doubleday, 1957. 162–67. Rpt. in The Great Gatsby: A Study. Ed. Frederick J.Hoffman. New York: Scribner's, 1962. 297–302.

Dillon, Andrew. "The Great Gatsby: The Vitality of Illusion." Arizona Quarterly 44.1 (1988): 49–61.

Fitzgerald, F. Scott. The Great Gatsby. 1925. New York: Macmillan, 1992.

Gallo, Rose Adrienne. F. Scott Fitzgerald. New York: Ungar, 1978.

Hart, Jeffrey. " 'Out of it ere night': The WASP Gentleman as Cultural Ideal." New Criterion 7.5 (1989): 27–34.

Le Vot, Andre. F. Scott Fitzgerald: A Biography. Trans. William Byron. Garden City, N. Y.:Doubleday, 1983.

Miller, Arthur. Death of a Salesman. New York: Viking, 1949.

Moore, Benita A. Escape into a Labyrinth: F. Scott Fitzgerald, Catholic Sensibility, and the American Way. New York: Garland, 1988.

Morrison, Toni. The Bluest Eye. New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1970.

Nash, Charles C. "From West Egg to Short Hills: The Decline of the Pastoral Ideal from The Great Gatsby to Philip Roth's Goodbye, Columbus." Philological Association 13 (1988): 22–27.

Pauly, Thomas H. "Gatsby Is a Sinister Gangster." Excerpted from "Gatsby as Gangster." Studies in American Fiction 21:2 (Autumn 1995). Rpt. in Readings on The Great Gatsby. San Diego: Greenhaven Press, 1998. 41–51.

Rowe, Joyce A. "Delusions of American Idealism." Excerpted from Equivocal Endings in Classic American Novels. Cambridge: Cambridge University Press, 1988. Rpt. In Readings on The Great Gatsby. San Diego: Greenhaven Press, 1998. 87–95.

Shelley, Mary. Frankenstein. London: Lackington, Hughes, Harding, Mavor, & Jones, 1818.

Stern, Milton R. The Golden Moment: The Novels of F. Scott Fitzgerald. Urbana: University of Illinois Press, 1970.

Trilling, Lionel. "F. Scott Fitzgerald." The Liberal Imagination. New York: Viking, 1950. 243–54. Rpt. in The Great Gatsby: A Study. Ed. Frederick J. Hoffman. New York: Scribner's, 1962. 232–43.